د. عبد الهادي الفضلي

حسن الصفّار

الشّيخ محمّد أمين زين الدّين

الدّور الأدبي والجهاد الإصلاحي



دار الجديد

د. عبد الهادي الفضلي

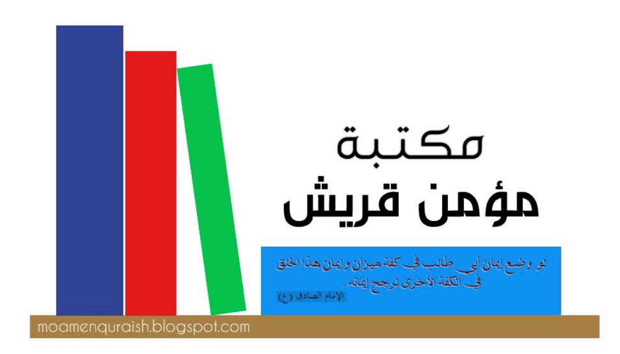
حسن الصفار

الشيخ محمد أمين زين الدين

الدور الأدبي والجهاد الإصلاحي

دار الجديد





الطبعة الأولى، ١٩٩٩

تنفيذ وتوزيع شركة دار الجديد ش. م. م. • صندوق بريد: ١١/٥٢٢٢
بيروت - لبنان • هاتف وفاكس: ٥٠ ٩٨ ٧٣ - ٧١ ٨١ ٧٣ (٠١) •
بريد إلكتروني: Aljadeed@cyberia.net.lb



سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين

هذا الكتاب...

إن جيلاً من المفكرين والمصلحين المعاصرين، في ميادين الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، يجدون في الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣ ـ ١٤١٩هـ)، رحمة الله عليه، ملهماً لهم ومربياً وأستاذاً. وإنّ ما يظهرون له من العرفان، ولمكانته العلمية الرفيعة وتجربته الإصلاحية الرائدة من التقدير، يكشف عن عمق التأثير النوعي الذي تركه الشيخ زين الدين، بصورة هادئة ونموذجية، ويعبر بوضوح كبير عن ملامح شخصيته الأخلاقية المؤثرة، ونهجه في الإصلاح والتغيير.

والأفكار والمفاهيم والتصورات التي عبر عنها في مؤلفاته وكتاباته كشفت عن صفائه الذهني، وعن نهج تجديدي، وعن فقيه مفكّر ومفكّر فقيه. كما كشفت عن وعي ثاقب وإدراك بصير بالشأن الإسلامي العام، وبالقضايا الاجتماعية التي تشغل اهتمام المرأة وجيل الشباب، وعلاقة الدين بالحياة المعاصرة، وعنايته بالطليعة المؤمنة.

هذه الأفكار لفتت انتباه الكثيرين إليه، وأعطت زخماً وحيوية وثقة

للمثقفين الدينيين، وللمصلحين في ميادين التغيير الاجتماعي، في ظلّ أجواء كان يشعر فيها هؤلاء بالضعف والإحباط، وعدم وجود العون والإسناد إلّا من القليلين. كما أن هؤلاء كانوا الأكثر تفهماً واحتضاناً لهذه الأفكار.

وهذا ما يحاول أن يقدمه هذا الكتاب الذي يشترك فيه اثنان من المفكرين والمصلحين، ومن علماء المملكة العربية السعودية البارزين، ومن المعروفين في العالم العربي والإسلامي بعطاءاتهم الفكرية والثقافية، وبنشاطاتهم الإصلاحية والتنويرية، وهما سماحة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وسماحة الأستاذ الشيخ حسن الصفار، اللذان حاولا أن يقدّما بعض العرفان للشيخ الفقيد محمد أمين زين الدين.

يحتوي الكتاب على بحثين:

الأول للدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، حول دور الشيخ زين الدين في إنماء وتطوير الحركة الأدبية في النجف الأشرف.

الثاني للشيخ حسن الصفار، حول تجربة الشيخ زين الدين في الإصلاح.

لقد كان الشيخ زين الدين فقيهاً ومفكراً ومصلحاً، وقليلٌ هؤلاء الرجال.

الناشر

الشيخ محمد أمين زين الدين:
دوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف الأشرف وتطويرها

الفصل الأول

مدخل

هدف البحث يهدف هذا البحث ـ كما يومىء إليه عنوانه ـ إلى بيان ما قام به أستاذنا الكبير، فقيه الأدباء وأديب الفقهاء، الشيخ محمد أمين زين الدين، (١٣٣٣ ـ ١٤١٩هـ)، من نشاط أدبي ساهم في إنماء الحركة الأدبية في النجف الأشرف، ومن أعمال إبداعية شاركت في تطوير الحركة المشار إليها.

أهمية البحث إن الكتابة عن الشيخ زين الدين تعني الكتابة عن أستاذ مُرَبٍّ مرموق من أساتذة الأجيال في النجف في حقبة زمنية كانت تمثل العصر الذهبي للنجف الأشرف علمياً وأدبياً، وقد استمرت لأكثر من خمسين عاماً تقريباً، وضمّت علماء عظماء وأدباء لامعين.

والكتابة عنه تعني، أيضاً، الكتابة عن هذه الحقبة الحافلة بالإنتاجات الكثر الخيرة، والمعطيات الوفر اليانعة.

من ها هنا تأتي أهمية الموضوع، فأهمية البحث فيه.

طريقة البحث اعتمدت في بحثي هذا طريقة الاستقراء من واقع مشاهداتي حين زياراتي لأستاذنا الجليل، ولقاءاتي به في المناسبات

وغيرها، ومدة تلمذتي عليه، ومن واقع قراءاتي لما وقع بين يديّ من نتاجه الأدبي مطبوعاً ومخطوطاً.

خطة البحث ويتألف هذا البحث من الموضوعات التالية:

١) لمحة عن تاريخ الحركة الأدبية في النجف الأشرف: نشأتها وتطورها.

٢) تعريف موجز للأدب النجفي: خصائصه، أجناسه، عوامله.

٣) شخصية الشيخ زين الدين الأدبية.

٤) دوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف.

٥) دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف.

مصادر البحث

١) الاعلام، خير الدين الزركلي.

٢) تاريخ الادب العربي، أحمد حسن الزيات.

٣) تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي.

٤) دليل النجف الاشرف، عبد الهادي الفضلي.

٥) الديوان (المقدمة)، د. مصطفى جمال الدين.

٦) سحر بابل وسجع البلابل (المقدمة والتعليق)، الشيخ آل كاشف الغطاء.

٧) شعراء الغري، علي الخاقاني.

٨) طبقات اعلام الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني.

٩) ماضي النجف وحاضره، الشيخ جعفر محبوبة.

١٠) معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام، د. محمد هادي الأميني.

١١) موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف)، جعفر الخليلي (إعداد).
١٢) الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال (إشراف).
١٣) نحو أدب إسلامي، عبد الهادي الفضلي.

الحركة الأدبيّة في النّجف

من الظواهر المعروفة في تاريخ المراكز العلمية الإسلامية في العالم انبثاق الأدب من واقع الحركة العلمية ونشأته، نمواً وتطوراً، في أحضانها.

وفي الغالب يزدهر بازدهارها ويضمر بضمورها.

والنجف الأشرف، باعتباره مركزاً من المراكز العلمية الإسلامية، لم يختلف عن لداته من المراكز العلمية الإسلامية الأخرى في وجود هذه الظاهرة التي تمثل العلاقة بين العلم والأدب، في انبثاق الثاني من الأول، ونشأته في أحضانه، وفي أجواء بيئته الطبيعية والثقافية.

ومن المعروف، تاريخياً، أن بدايات وجود الدرس العلمي الديني في النجف الأشرف كانت في القرن الرابع الهجري[1].

إلّا أن تلكم البدايات لم ترتفع إلى المستوى المساعد على انبثاق

---

(١) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٣٣٣.

الأدب من العلم فيها، لأنها كانت بدايات صغيرة ومحدودة، وسبب هذا هو بطء حركة الهجرة إلى النجف والسكن فيه آنذاك.

وعندما انتقلت المرجعية الدينية من بغداد إلى النجف الأشرف في القرن الخامس الهجري، متمثلة بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، المرجع الديني للشيعة الإمامية آنذاك، حيث هاجر من بغداد إلى النجف الأشرف، وهاجر معه طلابه وأصحابه ومريدوه من رجالات الشيعة الإمامية، ازدهرت الحركة العملية، ولكن لم يقدر لها أن تتمخض عن حركة أدبية ملازمة لها، لانشغال الشيخ الطوسي ومن معه بإرساء وتثبيت دعائم الحركة العلمية وتنظيم أوضاعها، وترتيب أحوال أساتذتها وطلابها.

وبعد وفاة الشيخ الطوسي، ضمرت الحركة العلمية في النجف، وسبب ذلك نشوء مدينة الحلّة، وانتقال الحركة العلمية الإمامية إليها، فـ«في أخريات القرن الخامس أنشأ الأمير العربي سيف الدولة منصور ابن صدقة بن دبيس الأسدي الحلة».

و«بعد تأسيسها بقليل انقلبت الحضارة العراقية إليها، وتقدمت تقدماً باهراً حتى على الزوراء، ولا سيما بعد مزعجات التتار عليها، التي سلمت الحلّة منها، وهي إلى جنبها، ثم اتسعت معارفها وتكاثرت فيها العلماء حسب اتساعها وحضارتها.

«وبعد نصف قرن من ظهورها نبغت فيها أساطين الإمامية ونوابغ الدهر وعجايب الدوران، كابن إدريس الحلّي صاحب السرائر أستاذ نجيب الدين بن نُما الحلّي، وهو أستاذ نجم الملّة والدين الشهير

بالمحقق على الإطلاق، صاحب كتاب **الشرائع**، وحسبك العلامة الحلّي الشهير بابن المطهر وولده فخر المحققين صاحب **الإيضاح**، وكثير من أمثالهم»[٢].

«وكانت الحلة من أول القرن الخامس إلى أربعة قرون هي دار الهجرة لطلب العلم عند الشيعة الإمامية»[٣].

ومنذ القرن التاسع الهجري، حيث أخذ نجم الحلة بالأفول، عادت الحركة العلمية في النجف تأخذ بالنمو فالازدهار.

وعند حلول القرن العاشر الهجري، أخذ أبناء القبائل العربية بالهجرة إلى النجف الأشرف لطلب العلم في الحوزة العلمية، والمجاورة لمرقد الإمام أمير المؤمنين (ع) في مدينة النجف. والأدب، كما هو معروف، وبأشكاله الفنية، شعرية ونثرية، من السمات البارزة في حياة العرب، وقد نبغ منهم العديد من الشعراء والخطباء والكتّاب، وفيهم الأفذاذ الذين اشتهروا على مستوى القطر العراقي، وعلى مستوى العالم العربي، كما فيهم النوادر الذين اشتهروا على مستوى العالم، أمثال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والأستاذ محمد مهدي الجواهري والسيد أحمد الصافي النجفي.

ومن أولئكم القبائل العربية التي هاجر بعضٌ من أبنائها إلى النجف واستوطنوها خلال القرن العاشر: آل البلاغي وآل الجزائري وآل محيي الدين.

---

(٢) **سحر بابل وسجع البلابل** (المقدمة)، ص ٣٠.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٣١.

ثم توالت هجرات بقية أبناء القبائل العربية الأخرى.

ففي القرن الحادي عشر هاجر إلى النجف عوائل من آل الأعسم وآل النحوي وآل قسام.

وفي القرن الثاني عشر الهجري هاجر إلى النجف جلُّ أبناء العشائر العربية النجفية المعروفة الآن، الذين برز منهم في العلم والأدب النخبة من الرجالات النوابغ، وهم: آل كاشف الغطاء، وآل بحر العلوم، وآل الظالمي، وآل الشيخ عبد الرسول، وآل الفرطوسي، وآل قفطان، وآل المظفر، وآل أطميش، وآل زايردهام.

وفي القرن الثالث عشر الهجري هاجر إليها آل الشبيبي، وآل الدجيلي، وآل سميسم، وآل السوداني، وآل مطر، وآل الغراوي، وآل الخرسان، وآل العصامي، وآل زوين وغيرهم.

وارتبطت هذه الحركة الأدبية النجفية بمثيلاتها في البلدان العربية، أمثال مصر وسورية ولبنان، وتفاعلت مع مثيلاتها الأخرى في البلدان غير العربية، وبخاصة في إيران، للرابط المذهبي بين أبناء النجف وأبناء إيران، ولأن الحوزة العلمية في النجف تضم الوفرة من العلماء والطلاب من الجالية الإيرانية.

ولا يخفى تأثير هذا التفاعل الثقافي والأدبي بين الحركة الأدبية في النجف الأشرف والحركات الأدبية الأخرى في البلاد العربية فقد مرت بنفس المراحل التي مرت بها تلكم الحركات، خلال هذه الحقبة من الزمن الممتدة من القرن العاشر الهجري حتى عصرنا هذا، وهي:

ـ العهد العثماني.

ـ عهد النقلة.

ـ العهد الحديث.

ففي العهد العثماني، كما هو معلوم، اعتمد الأسلوبُ الأدبيُّ في الشعر والنثر، معطيات علوم البلاغة العربية التي ذكرت في أمثال كتب الزمخشري والسكاكي والتفتازاني، حيث التأكيد على اللفظ على حساب المعنى، والذهاب في تقديس اللفظة إلى حدّ الإسراف، حتى هيمنت على الصورة الأدبية، شعراً ونثراً، الألوان البديعية ذات الجمال المصنوع.

وقد استمرت هذه المرحلة إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري حيث داخلتها مرحلة النقلة الأدبية.

وقد كنتُ أطلقتُ هذا العنوان، (مرحلة النقلة الأدبية)، في بحث لي سابق على هذه الحقبة الأدبية من الزمن، لخضرمة أعلامها من الأدباء بين العهد العثماني وعهد النهضة العربية الحديثة، ولتطعيم نتاجاتهم الأدبية بشيء ممّا عُرف فيما بعد أنه من سمات الأدب العربي الحديث، بما ساعد على تحوّل الأدب العربي مما كان عليه في العهد العثماني إلى ما آل إليه في العهد الحديث.

ولأن الدوريات الأدبية كان لها الدور الأهم في التطورات الأدبية، لنا أن نطلق على مرحلة النقلة الأدبية عهد *العروة الوثقى*، المجلة الثقافية التي كان يصدرها في باريس السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده منذ عام ١٨٨٤م، وقد «صدر منها ١٨ عدداً، وكانت لسان حال جمعية العروة الوثقى الداعية إلى عزة الإسلام وحرية

العالم الإسلامي»[٤]، وذلك بالنظر إلى انتشارها بين أبناء العرب آنذاك، ولدعوتها للتجديد علمياً وأدبياً، وللنهضة من الجمود على القديم الذي لا قدرة له على التفاعل مع الحياة العربية الإسلامية وما يدور في فلكها من أحداث تستدعي التغيير إلى ما هو أفضل.

فقد تأثر بها جلُّ العلماء العرب المعاصرين لها، وكان خاتمتهم في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، وتمثل طابع النقلة فيما نشر من شعره، وفي كتابه الشهير **الدين والإسلام**، فقد لمسنا فيهما صدى الفنون البلاغية العربية كالسجع والجناس، وهو من القديم، وقرأنا فيهما بعض ما أفرزته الثقافة الحديثة، وهو من الجديد.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري كانت بدايات العهد الأدبي الحديث في النجف الأشرف.

ولنا أن نسمي هذه البدايات بمرحلة أدب **الرسالة**، المجلة الأدبية التي كان يصدرها في القاهرة الأستاذ أحمد حسن الزيّات (ت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، منذ عام ١٩٣٣م حتى عام ١٩٥٣م حيث احتجبت، ثم عادت للظهور عام ١٩٦٣م ثم بعد فترة احتجبت.

وفي عام ١٣٥١هـ، هاجر شيخنا زين الدين من مسقط رأسه مدينة البصرة إلى النجف الأشرف، لإكمال متطلبات دراسته الدينية في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، والتقى فيها بأدبائها وحضر مجالسها

---

(٤) **الموسوعة العربية الميسرة**، مادة «العروة الوثقى».

الأدبية الخاصة والاحتفالات بذكريات أهل البيت (ع) العامة، واختص أدبياً بصديقه الحميم ورفيق دربه في مسيرته الأدبية الشيخ سلمان الخاقاني (١٣٣٢هـ ـ ١٤٠٨هـ)، واستقرّ في النجف مستوطناً حتى وفاته، رضوان الله عليه.

وسأعود إلى هذا بعد أن أحاول تعريف الأدب النجفي في أهم خصائصه وأنواعه وعوامله.

■

الأدب النجفي

إن أهم سمة عُرف بها الأدب النجفي هي الولاء لأهل البيت (ع).

ويرجع هذا إلى عاملين مهمين ساعدا على ذلك، هما:

١) وجود مرقد الإمام أمير المؤمنين (ع) في النجف.

٢) وجود الحوزة العلمية في النجف، تلك الحوزة التي احتضنت فكر آل البيت (ع) عقيدة وتشريعاً.

إن هذا الولاء انعكس على الإنتاج الأدبي النجفي، فجاء أكثره في ذكر أهل البيت (ع) وإحياء ذكراهم.

إن ذلك الارتباط بأهل البيت (ع) هو السمة التي غلبت على الأدب النجفي.

أما أجناس الأدب النجفي فهي:

١) **الشعر الفصيح بأنواعه المختلفة:** القصيدة، الرواية، البند،

التخميس، التشطير، الموشحات، الملاحم، الدوبيت، الرباعيات، الأراجيز.

٢) الشعر العامّي (باللهجة العراقية الدارجة) بأنواعه التالية: القصيدة، الأبوذية، الأهزوجة، الرّدّة.

٣) النثر بأنواعه التالية: المقالة، الرسالة، المقامة.

٤) الخطابة بأنواعها التالية: الحسينية، الوعظ، في المناسبات الخاصة والعامة.

•

ويكتسب النجفيُّ الأدبَ من الأجواء الأدبية التي تحيط به ويحيط بها، وهي:

١) المجالس الأدبية وكانت تعقد في المنازل ليلتي الخميس والجمعة وليالي شهر رمضان المبارك.

٢) الحفلات وتقام عادةً في المناسبات، أمثال: ذكرى أهل البيت (ع)، زفاف صديق، مولود لصديق، قدوم حاج، وفاة شخصية كبيرة.

٣) الجمعيات الأدبية وذلك بما يعقد فيها من ندوات ومجالس وحفلات.

وأهم هذه الجمعيات التي أسهمت إسهاماً مباشراً وحيّاً في التنمية الأدبية، هي:

(١) **جمعية الرابطة الأدبية** أُسست سنة ١٣٥١هـ، ومن أعضائها: السيد عبد الوهاب الصافي، والشيخ محمد علي اليعقوبي، والسيد محمود الحبوبي، والشيخ جواد آل الشيخ راضي، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين، والشيخ محمد حسن الصوري، والأستاذ محمد علي البلاغي، والشيخ علي الصغير، والشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد مصطفى جمال الدين، والسيد محمد بحر العلوم.

(٢) **جمعية منتدى النشر** أسست سنة ١٣٥٤هـ، ومن أعضائها: الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ عبد المهدي مطر، والسيد هادي الفياض، والشيخ أحمد الوائلي، والشيخ مسلم الجابري، والسيد محمد جمال الهاشمي، والدكتور محمود المظفر، والسيد عبد الحسين الحجار.

(٣) **جمعية التحرير الثقافي** أُسست سنة ١٣٦٠هـ، ومن أعضائها: الشيخ عبد الغني الخضرمي، والسيد محمد علي عليخان، والشيخ عبد المنعم الشميساوي، والشيخ محمد حسين الصغير.

٤) **الدوريات الأدبية** وأوسعها شهرة وأبعدها تأثيراً، هي:

(١) مجلة **الهلال**، لجرجي زيدان، أصدرها عام ١٨٩٢م واستمرت حتى عام وفاته ١٩١٤م، ولا تزال تصدرها دار الهلال بالقاهرة.

(٢) مجلة **العرفان**، للشيخ أحمد عارف الزين، أصدرها عام

١٩٠٩م حتى عام وفاته ١٩٦٠م، ثم تولّى إصدارها نجله الأستاذ نزار الزين.

(٣) مجلة **الرسالة**، للأستاذ أحمد حسن الزيات، أصدرها عام ١٩٣٣م حتى عام ١٩٥٣م.

وغيرها من المجلات المصرية واللبنانية والسورية.

أما الدوريات النجفية التي شاركت في النهضة الأدبية الحديثة فأهمها:

(١) مجلة **العلم**، للسيد هبة الدين الشهرستاني.

(٢) جريدة **الهاتف** للأستاذ جعفر الخليلي.

(٣) مجلة **الاعتدال**، للأستاذ محمد علي البلاغي.

ثم المجلات التالية:

(١) **الغري**، شيخ العراقين آل كاشف الغطاء.

(٢) **البيان**، علي الخاقاني.

(٣) **الدليل**، عبد الهادي الأسدي.

(٤) **البذرة**، طلبة كلية منتدى النشر.

(٥) **العقيدة**، فاضل الخاقاني.

(٦) **الشعاع**، هادي العصامي.

(٧) **العدل الإسلامي**، محمد رضا الكتبي.

(٨) **النجف**، هادي فياض.

(٩) **النجف**، كلية الفقه.

(١٠) **الأضواء**، جماعة العلماء.

٥) **الحلبات الشعرية** وأعني بها تلك التي يتبارى فيها الشعراء بمناسبة ما، منها:

ما ذكره الخاقاني في كتابه شعراء الغري، ترجمة السيد جعفر الخرسان، حيث قال: «وآل الخرسان من الأسر النجفية العريقة... أنجبت أفذاذاً فرضوا أنفسهم على التاريخ بما نالوه من مكانة سامية في العلم والأدب والتقوى والصلاح في القرن الثالث عشر، كالعلامة السيد حسن المتوفى ١٢٦٥هـ، والذي شارك في رثائه أكثر من عشرين شاعراً بارزاً».

ومنها مناسبة قدوم المرجع الديني الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من باكستان بعد حضوره المؤتمر الإسلامي المنعقد هناك عام ١٣٧١هـ، فقد استمر الاحتفال باستقباله الذي أقيم في مدرسته الخاصة مدة أسبوع، وساهم فيه جمع من شعراء النجف آنذاك، منهم: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد مصطفى جمال الدين، والشيخ محمد الهجري، والشيخ محمد حيدر.

ومنها مناسبة وفاة المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين (ت ١٣٧٠هـ)، وكذلك شارك فيها جمع من الشعراء، منهم: الشيخ محمد تقي الجوهري، والسيد محمد جمال الهاشمي، والشيخ علي

الصغير، والشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والسيد مصطفى جمال الدين، والشيخ عبد الزهراء العاتي، والسيد مير حسن أبو طبيخ.

وقد أصدرت مجلة البيان النجفية عدداً خاصاً بهذه المناسبة.

٦) الحلقات الأدبية ومنها:

(١) حلقة السيد إبراهيم بحر العلوم (ت ١٣١٩هـ)؛ يقول الشرقي: «وهو، (يعني السيد إبراهيم)، أكثر رجالات الأدب المتأخرين تعهداً لمن يستفيد منه، وحرصاً على تخريج من يأخذ عنه، ولذلك كانت له حلقة تلتف حوله من عشّاق مسلكه، ولا يزال الناس يذكرون حلقته هذه ويصفون لهجته في كلامه وحسن تصويره للخاطر الذي يختلج في باله حتى كأنه يشير إلى شيء محسوس في الخارج»(٥).

(٢) حلقة الشيخ مهدي الحجار (ت ١٣٥٨هـ)؛ يقول الخاقاني: «وكانت له حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب الذين كانوا يرجعون إليه في فصل الخصومات الأدبية»(٦).

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا، الظواهر التي جرت بمناسبة حديث الأدب، منها:

أولاً: إن الشعر كان يعتمد في إسماعه الحضورَ على طريقة الإنشاد، وكان لهذه الطريقة أناس مختصون يُعهد بها إليهم، ثم تحوّل من طريقة الإنشاد إلى طريقة الإلقاء. يقول الخاقاني في كتابه شعراء

---

(٥) شعراء الغري، ١/١١٥.

(٦) المصدر نفسه، ١٢/٢١٠.

الغري[٧]، «وتولى إنشاد شعر بنفسه، ولعله أول شاب رأيناه من إخواننا استعمل ذلك يوم أن كان مستغرباً فقد عُرف بإنشاد الشعر آنذاك: الشيخ حسن سبتي والسيد خضر القزويني، ومن قبلهما الشيخ محمد شريف».

ومن المنشدين المعروفين أيضاً السيد هاشم كمال الدين.

ثانياً: تنظيم الاحتفالات، وذلك بوضع منصة للإلقاء وجدول بأسماء الأدباء المشاركين في الاحتفال، وتعيين عريف يقوم بتقديم المشاركين، والبدء بتلاوة آيٍ من الذكر الحكيم، والختم بكلمة شكر.

يقول الخاقاني في ترجمة الجعفري أيضاً: «وزاد على ذلك بأن سعى إلى قلب مجالس النجف وأنديتها إلى شكل احتفالات أدبية على طراز ما يقتضيه العصر الحديث، مما هو مستعمل في مصر وسورية».

ثالثاً: الشعر السياسي، يقول الخاقاني في ترجمة صالح الجفري، بعد المنقولة المذكورة في أعلاه: «وإدخاله الشعر السياسي في المحافل الدينية والأندية الأدبية مما سبّب تحامل الرجعيين واتهامه بشتى الاتهامات التي كانت مبتذلة آنذاك لاتخاذها سلاحاً فاشلاً ضد المتيقظين».

رابعاً: التأثر بالأدب الفارسي، عُرف الأدب الفارسي، ولا سيما الشعر، بالظواهر التالية: عذوبة الإيقاع ودقة الألفاظ وسعة الخيال ودقة التصوير.

وعُرف الأدب العربي، وبخاصة الشعر، بانعكاس طبيعة بيئة البادية على الكثير منه، تلك الطبيعة التي كانت تتمثل في فخامة الألفاظ ومتانة المعاني وعفوية الأخيلة.

---

(٧) شعراء الغري، ٤/٣٠٠، ترجمة صالح الجعفري.

مثّل هذا الانعكاس في شعره تمثيلاً نموذجياً الشاعر السيد إبراهيم الطباطبائي (ت ١٣١٩هـ)، «ذكره الشيخ علي الشرقي في مقدمة ديوانه فقال: نشأ وفيه ميل فطري للآداب فعكف عليها في إبانّ شبابه، وكان مغرىً بغريب اللغة وشواردها، ذا حافظة قوية للغاية، مفضلاً لأسلوب الطبقة الأولى طبقة البداوة على الأساليب الصناعية الحادثة.

«ولم تَمْضِ برهة حتى طار ذكره في البلاد واشتهر في شعره بطريقته العربية الصرفة التي أحياها بعد اندراسها، حتى تألف لها حزب من أدباء العراق على عهده، وتعصّب لها قوم تخرّج جماعتهم عليه.

«وهو أكثر رجالات الأدب المتأخرين تعهداً لمن يستفيد منه، وحرصاً على تخريج من يأخذ عنه، ولذلك كانت له حلقة تلتف حوله من عشّاق مسلكه، ولا يزال الناس يذكرون حلقته هذه ويصفون لهجته في كلامه وحسن تصويره للخاطر الذي يختلج في باله، حتى كأنه يشير إلى شيء محسوس في الخارج»[٨].

والعلاقة الثقافية بين النجف الأشرف وإيران علاقة وثيقة فالكثير من أساتذة وتلامذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف هم من الإيرانيين.

وأيضاً، كثيراً ما يسافر الشيوخ والطلاب الحوزيون العرب إلى إيران بقصد زيارة مرقد الإمام الرضا (ع) بمشهد، ومرقد أخته السيدة فاطمة بقم، وبقصد السياحة والاصطياف والتعارف، فيلتقون هناك بالأدب

---

(٨) شعراء الغري، ١/١١٥.

الفارسي ويتعرفونه عن طريق رجالاته والمنشور من إنتاجاتهم الأدبية، ويتفاعلون مع تلك الطبيعة الموهوبة بالحسن والواهبة للشعر.

وقد بان أثر هذه العلاقة الثقافية على النتاج الأدبي النجفي، وذلك في مثل:

(١) شعر أحمد الصافي النجفي (ت ١٣٩٧هـ)، فقد سافر الصافي إلى إيران وتعلم اللغة الفارسية بإتقان، وقرأ الأدب الفارسي بإمعان، فأفاد منه براعة التصوير، وانسيابية التعبير، حتى عاد نموذجاً مميزاً في شاعريته وشعره.

(٢) شعر علي الشرقي (ت ١٣٨٤هـ)، سافر الشرقي إلى إيران ثلاث مرات، وأفاد من سفراته هذه ما ظهر أثره على خياله الشعري.

وكما تأثر الصافي والشرقي، وهما من أعلام الشعراء النجفيين العرب، بالأدب الفارسي، تأثر شاعران نجفيان آخران، وهما من أصل فارسي بالأدب العربي، فكانا من أدباء النجف المعدودين، وهما:

(١) آغا رضا الأصفهاني (ت ١٣٦٢هـ)، فقد اعتبره الأستاذ الخاقاني[٩]، ممن تأثر في شعره بالشاعر المعروف صفي الدين الحلي ومدرسته «فقد عشق البديع وأنواعه، وتأثر بالنكات الأدبية الدقيقة، ويكاد لا يخلو كل بيت له من ذلك».

وفي تعليق الشيخ كاشف الغطاء على ديوان السيد جعفر الحلي[١٠]:

---

(٩) شعراء الغري ٤/٤٥.

(١٠) سحر بابل وسجع البلابل، ص ١١١.

«وللشيخ آغا رضا المذكور مع وفور حظه من العلم والفضل والتقى والصلاح حظ وافر من الأدب، وباع طويل في النظم والنثر وشعر رائق جمع فيه بين طرافة الفرس وفصاحة العرب».

(٢) أبو الفضل الطهراني (ت ١٣١٦هـ)، هو الآخر فارسي الأصل، تأثر بالأدب العربي، ونظم الشعر العربي وأجاد فيه.

إن هذا التلاقح بين الأدبين العربي والفارسي كان عاملاً مساعداً على التجديد في الأدب النجفي الحديث.

خامساً: التأثر بالأدب المصري، فالصلة الأدبية بين النجف ومصر قديمة، إذ كان العرب ـ ومنهم النجفيون ـ يتابعون أخبار النهضة الأدبية الحديثة عن طريق الدوريات الأدبية المصرية، أمثال **الرسالة** و **الرواية** و **الثقافة** و **الهلال** و **الكاتب المصري** و **الكتاب**، وغيرها.

ثم تأكدت هذه الصلة عن طريق المبتعثين من أبناء النجف إلى القاهرة للتخصص في اللغة العربية، أمثال: الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، والدكتور مهدي المخزومي، والأستاذ إبراهيم الوائلي، فقد تأثروا بالأدب المصري الحديث، وانعكست أصداؤه على نتاجهم الأدبي.

وخير مثال يذكر هنا الأستاذ إبراهيم الوائلي، فإنك لتلمس طابع ما ذكرتُ في قصيدته بذكرى الإمام علي (ع):

صهر النبوّة حسبي منك إيحاء   دنياك صوت ودنيا الناس أصداء
آمنت بالحق لم تعصف بموكبه   هوج الخطوب ولم تفلله أرزاء

وبالصراحة أدنى ما يراد بها للخلق أن يتساوى الذئب والشاء

يا أيها الآية العظمى ألا قبس من الهدى فحواشي الأفق ظلماء

أشرف على السفح وانظر كيف جانبه فإنه اليوم لا نبت ولا ماء

ومثال آخر أستاذنا الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، وقصيدته في تأبين شاعر القطرين خليل مطران (ت ١٩٤٩م).

سل عن الشاعر أو خذه مثالا تَغْنَ عن شعب جواباً وسؤالا

تلتقي الآفاق في أبعاده وهو دون العين مرأىً ومنالا

ضلّت الألباب عن إدراكه ومضت تخبط رشداً وضلالا

ليس تدري أية تنسبه أملاكٌ حطَّ أم جنٌّ تعالى

وبماذا تتحامى شرّه وترجّي الخير منه والنوالا

فلتقم للشعر يوماً جامعاً ولتبالغ فيه سوماً واحتفالا

ولْيَنُبْ عن كلّ قطر شاعر عرف الفضل لأهليه فقالا

شاعر القطرين بوركت صباً وشباباً ومشيباً واكتهالا

جئتَ والنهضة فينا طفلة بعدُ لم تبلغ فطاماً أو فصالا

وتباشير حياة حرة شعّ في الوادي سناها وتلالا

ورفاقٌ عدُّ أخوان الصفا نفروا واستنفروا الناس عجالى

كنتَ في القادة منهم فكرة ومن الساقة إذ أعيوا كلالا

تهبُ الفكرة لا مستجدياً أن يقول الناس قد أفتى وقالا

مصلحٌ في غير دعوى مصلح ونبيّ لم يكلّفنا امتثالا

تخذ الفنّ له آلهة وحواري الفنّ أنصاراً وآلا

سلْ بيوتَ الفنّ من عمّرها وأشاع الخير فيها والجمالا

وبرود الشعر من جدّدها وارتدى منها قصاراً وطوالا

ورد النيل سحاباً فاستقى وأتى الآفاق فانهلّ انهلالا
كلما مرّ على مجدبةٍ أسمعته حمد مصر فأنالا

وكان لدخول دواوين علي محمود طه: الملاح التائه و ليالي الملاح التائه و أرواح وأشباح و زهر وخمر و الرياح الأربع، دور واضح قرأنا أثره في شعر غير واحد، منهم: الشيخ محمد حيدر، والأستاذ صالح الظالمي، والأستاذ جميل حيدر.

كما كان لقراءة مؤلفات الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم، وجيلهما من أدباء مصر، أثر بعيد جداً في صقل الموهبة الأدبية النجفية وبخاصة في مجال النثر الفني.

وانعكاس هذا واضح في كتابات أمثال أستاذنا السيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد بحر العلوم وغيرهما.

سادساً: التأثر بالأدب الشامي، السوري واللبناني، وكان هذا بالدرجة الأولى عن طريق قراءة شعر بدوي الجبل وشعر الأخطل الصغير، ودواوين الأستاذ الحوماني وغيرهم.

كما كان عن طريق زيارات أدباء النجف للبنان والالتقاء بأدبائه وحضور ندواته الأدبية.

وكذلك عن طريق الأدباء اللبنانيين الذين كانوا في النجف للدراسة الدينية، وهم على صلة بالأدب اللبناني والأدباء اللبنانيين.

وأوضح مثال يذكر، هنا، أخونا السيد محمد حسين فضل الله، وقد بيّنت هذا في تقديمي لديوانه يا ظلال الإسلام.

ولا ننسى أن نشير هنا إلى دور مجلة العرفان في الربط بين

الأدبين اللبناني والنجفي؛ فقد كانت الجسر الذي وصل بين الثقافتين اللبنانية والنجفية.

يقول خير الدين الزركلي في الأعلام، ترجمة أحمد الزين، وهو في معرض الحديث عن مجلة العرفان: «كانت أعظم ميدان لأقلام كتاب عصره، (يعني صاحب العرفان)، من العامليين على الخصوص والشيعة الإمامية بصفة عامة.

«وكان لمطبعتها الفضل في نشر جملة من كتب الأدب والتاريخ».

وكذلك نشير إلى مجلة العروبة للأستاذ الحوماني فقد كان لها شيء من التأثير.

كما لا ينبغي أن ننسى، هنا، دور مؤلفات جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة ومارون عبود، وجيلهم من الأدباء اللبنانيين.

شخصيّة الشّيخ زيـن الدّيـن الأدبيّة

وكما مرّ بنا، هاجر أستاذنا الشيخ زين الدين من البصرة إلى النجف عام ١٣٥١هـ، حيث البدايات الأولى للصراع الثقافي بين القديم والجديد في دنيا أدب النجف، فكان عليه، وهو الطموح الذي يتطلع لأن يكون أديباً من أدبائها، أن يدخل هذا المعترك، ولأنه كان ابن الثامنة عشرة في حينها كان عليه أن يكون في صف الشبان، أي مع الجديد.

وكما ألمحت، ففي النجف التقى بصديقه الحميم ورفيق دربه في مسيرته الأدبية الشيخ سلمان الخاقاني.

والخاقاني من الشبان القلائل الذين كانوا يُعنون بمتابعة الكتب الأدبية الحديثة أمثال مؤلفات الدكتور طه حسين، والدكتور زكي مبارك، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد حسين الزيات، وأحمد أمين، ويوسف السباعي، وسيّد قطب، ويحيى حقي، ونجيب محفوظ، ومارون عبود، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة... إلخ.

وكذلك الدوريات الأدبية الحديثة أمثال: **الرسالة** و **الرواية** و **الثقافة** و**الهلال** و **الكاتب المصري** و **الكتاب** و **العرفان** و **العروبة** و **الهاتف** و**الاعتدال**... إلخ.

وممن كان يتابع النتاج الأدبي الحديث من قرناء الخاقاني سنّاً: الأستاذ صالح الجعفري، وأستاذنا السيد محمد تقي الحكيم، والسيد محمد جمال الهاشمي، وآخرون قليلون.

وكان لأستاذنا زين الدين متابعة أيضاً، ولكن ليس عن طريق الاقتناء شأن من قدّمت أسماءهم لقلّة ذات يده، فكانت متابعته لما تصدره المطابع من إنتاج أدبي حديث عن طريق الاقتناء في حدود الميسور، وعن طريق الاستعارة من زميله الشيخ الخاقاني.

وبطريق الاقتناء استطاع، مع مرور الزمن، أن يكوّن لنفسه مكتبة أدبية مغنية كمرجع أدبي خاص.

■

نثره

وكان لمجلة **الرسالة** دور العامل الأهم في تكوين أسلوبه الأدبي لكتابة المقالة، فقد تأثر بافتتاحياتها تلك التي كان يحررها صاحب **الرسالة** الأستاذ أحمد حسن الزيّات، والتي طُبعت فيما بعدُ تحت عنوان **وحي الرسالة** بأربعة أجزاء، وكانت من مقتنيات شيخنا زين الدين ومحفوظات مكتبته الخاصة، وقد رأيته كثير القراءة لها والتأثر بها في كتاباته، لا سيما مقالاته الأولى.

وبعد أن استقلّ بشخصيته الأدبية استقلّ بأسلوبه الخاص به الذي ينتمي أدبياً إلى أسلوب الزيّات، أو قلْ إلى مدرسة الرسالة في أسلوب المقالة.

والعوامل الذي ساعدت أستاذنا زين الدين على الاستقلال بأسلوب أدبي اختصّ به في كتاباته النثرية هي:

(١) طموحه، فقد كان بعيد الطموح وذا نزعة قوية في الطلوع إلى قمة الكمال.

(٢) ثقته بنفسه، في القدرة على الفهم والإدراك، والنقد والرد، والتحليل والتعليل، وعلى الاختراع والإبداع.

(٣) اعتداده بشخصيته بعمق وقوة.

وكل هذه عوامل نفسية تساعد مساعدة فاعلة على الوصول إلى الهدف المنشود.

وتمثّل أبعاد أسلوبه في النثر الفني بالتالي:

(١) اهتمامه بانتقاء اللفظة المناسبة لموضعها في سياق الجملة والكلام.

(٢) حرصه على أن تكون اللفظة خفيفة الإيقاع، حيث تتطلب الفكرة ويقتضي السياق، وثقيلة الجرس عندما تفرض المناسبة أو الموقف ذلك، مع المحافظة على عذوبتها ذوقاً، وسهولة أدائها نطقاً.

(٣) محافظته على العفوية، أي البعد عن التكلف، في انسيابية الألفاظ ضمن عقد تعبيري متناسب ومتناسق.

(٤) تأكيده على صفاء الشكل العام للمقالة، إلى مستوى لا يرى القارىء فيها إلّا ترابطاً عضوياً في اللفظ والمعنى، فلا نبوة للفظ ولا كبوة لمعنى.

وقد أكثر من كتابة المقالات، وبخاصة في مناسبات ذكريات أهل البيت (ع) التي كانت تقام في البصرة والنجف الأشرف وسامراء، حيث يُقيمُ موكبُ النجفيين، الذي اعتاد أن يذهب إلى سامراء بمناسبة وفاة الإمام الهادي (ع)، في اليوم الثالث من شهر رجب من كل عام، مهرجاناً كبيراً بالمناسبة.

ومن أروع مقالاته الأدبية مقالته بعنوان «بلال يؤذّن»، التي نشرها الأستاذ علي الخاقاني في مجلته البيان، وفي كتابه شعراء الغري ضمن ترجمة الشيخ.

وقد لاقت عند نشرها استحساناً كبيراً من طبقة الأدباء القدامى وطبقة الأدباء المحدثين، وأعطته شهرته الأدبية في الوسط الأدبي النجفي كأديب له أسلوبه النثري المتميز.

ولأنها النموذج الممثّل لأسلوب أستاذنا الجليل، رأيت نشرها هنا لتسليط بعض الضوء على ما فيها من أبعاد فنية... وها هي:

«ينعقد الحفل ويكتظّ النديّ بالمجتمعين، ويعمّ الجميعَ صمتٌ رهيب وسكون خاشع، ومحمد يتحدث بصوت متزن الإيقاع، سماوي النبرات، يأخذ بالقلوب قبل الأسماع، ويمتلك العقول قبل النفوس، وكأن المجتمعين من أهل طبقة واحدة، قد

سوّت بينهم أخوة الدين الجديد، وجمعتهم سياسة النبي الحكيم، فلا فوارق ولا مميزات.

«تلك هي الجامعة المثالية التي أسسها محمد يوم وصوله إلى يثرب، فهي مجلس التشريع ومحكمة العدل، وهي هيكل العبادة ومسجد الصلاة، وهي مدرسة التهذيب ومعهد الثقافة، ومصدر جميع ذلك قرآن محمد وإرشاده.

«وللمسلمين كل يوم في ذلك المحفل أكثر من اجتماع واحد، تتزاحم فيه المناكب، وتتطاول فيه الأعناق، وترهف فيه الأسماع لاستجلاء حكمة جديدة، واستطلاع رأي سديد.

«يتحدث محمد ويشير، والقلوب رهن إشارته وحديثه، والعيون تحصي كل لمحة من طرفه، وكل إشارة من كفّه.

«وينتهي النبي من حديثه فيسكت، وسكوته إذن للقوم بالكلام، فيبتدئون القول، ويستعرضون في كلامهم أمر الصلاة، وأي عمل عند المسلم أعظم من الصلاة، وأي حديث أشهى إليه من حديث الصلاة.

«إنها اجتماع أرواح، وائتلاف أبدان وقلوب، ثم هي تَحوّلٌ من حال إلى حال، وارتفاعٌ من كون إلى كون، حيث يلتقي العابد بالمعبود، ويتصل الخالق بالمخلوق.

«ويذهب القول شعوباً، ويتخذ فنوناً وطرائق، ثم يلتقي عند الأذان فيتساءل الحاضرون باستغراب: إن لكل دين من أديان السماء شعاراً يبلغ أهله أمر الصلاة، فهلّا يكون للمسلمين ما يشبه ذلك، لقد خفنا أن يفوت البعض منّا حضور الصلاة إذا

أوكلناه إلى الصدفة، ولم لا يتّخذ المسلمون إحدى هذه العادات شعاراً لصلواتهم؟!

«فيقول أحدهم: إني رأيت أبواق اليهود أبلغ في إيصال الدعوة إلى المصلين.

«ويقول الثاني: ولكن ناقوس النصارى أشجى نغمة، وأكثر اتصالاً بخشوع العبادة.

«ويقول الثالث: ولكنا عرب قبل اليهودية والنصرانية، فهلّا نتخذ لصلاتنا ناراً كنار القرى، ولنسمّها إذا شئنا "نار الصلاة". ويقترح آخرون طرائق أخرى.

«يقولون هذا، ومحمد مطرق لا يفوه بشيء، لأن الوحي لم يزوّده بشيء، ولأنه يكبر دينه أن تدخله أمثال هذه العادات التي لا تشبه العبادة ولا تمتّ إلى العقيدة.

«ليكن نداء الصلاة نداء أرواح لأنها اجتماع أرواح، ولكن الوحي لم يأته بعد بشيء، فهو مطرق.

«وينفضّ الحفل والأذان حديث كلّ فم، وفكرة كلّ قلب، وتمرّ على المدينة ليلة قلقة يتناول الرأي فيها كلّ أحد، ويشترك في القول كلّ فرد، لأن الصلاة حق للجميع فالتفكر في شأنها من حقوق الجميع ما دام النبي لم يصدر رأياً، وما دام الوحي لم يعيّن أمراً.

«وينتهي الهزيع الأول من الليل، فتسري في المنتديات همسة من الرجاء، وتطوف عليها بارقة من الأمل، إنهم سيسمعون عند الفجر أول نداء للصلوات، ولكن ماذا يكون ذلك النداء، ويبيت

الجميع في نشوة من الأمل، ووله من الانتظار، يتطلعون بشائر الفلاح عند الصباح.

«ويتقلص ظل الليل الطويل، وتبدو طلائع الفجر الأول، تحمل تباشير النور، فيزدحم المسجد الأعظم، وتكتظ الشوارع القريبة، وتمتلىء الأفنية والسطوح.

«ماذا يتأمل هؤلاء المزدحمون؟

«إنهم ينتظرون نداء الصلاة، عظمت الصلاة، وعظم نداؤها، وعظمت القوة التي تملك الموجودات قبل وجودها.

«ويبتسم الفجر، فينطلق صوت بلال بالأذان الأول (الله أكبر)، فتهتز قلوب، وتجري دموع، وترتفع إلى السماء أصوات متشابكة، هي مزيج من زغاريد النساء، وتكبير الرجال.

«ويبدو وجه محمد أمام المسلمين، ويقيم الصلوات، مؤسس الصلوات، فترتد الأنفاس، وتسكن الأصوات.

«يقول التاريخ: الأذان رؤيا صالحة رآها عبدالله بن زيد.

«ويقول الأئمة من أهل البيت: الأذان وحيٌ تنزّل من السماء.

«فهل لنا أن نصدق التاريخ إذا لم يعترف بصحته أهل البيت؟!

«وهل لنا أن نجوّز على النبي أن يعتمد في الأذان على الرؤيا، وهو المقيّد بالوحي فيما يقول وما يفعل.

«الدين الإسلامي أبعد من أن يؤسس أحكامه على الرؤى مهما كانت صالحة، ومهما كان الرائي عبداً صالحاً.

«ومن لنا أن نجعل رؤيا الأذان نوعاً من أنواع الوحي حجب عن محمد ليراه عبدالله بن زيد؟!

«وسواء أكان الأذان رؤيا صالحة أم كان وحياً إلهياً، فقد أصبح شعيرة من شعائر الدين، وأصبحت لبلال مكانة جديدة عند المسلمين يوم كلّل جبينه وسام المؤذّن الأول، واعتمده الرسول أميناً على أوقات الصلوات.

«يسمع المسلمون صوت بلال في اليوم الواحد خمس مرات، ثم لا يزيد هذا التكرار أذانه إلّا طلاوة، ولا يؤثر في قلوبهم إلّا لهفة وشوقاً.

«وتدول الأيام فيقبض الرسول، وينقطع الوحي، ويختم القرآن، وينقطع صوت داعي الأرض لانقطاع صوت داعي السماء.

«عاهد بلال نفسه أن يترك الأذان وفاءً لنبيّه، ولا بد له أن يفي.

«ثم تمرّ على ذلك العهد أيام، وقلوب المسلمين متعطشة إلى صوت بلال.

«وتمرض وحيدة النبي، (فاطمة)، فيعودها كبراء المسلمين، ويأتيها الشيخ الوفي مع العائدين، فترحب به ثم تقول: لقد اشتقت إلى صوتك يا بلال، فيطرق بلال ثم يبكي.

«إنه اقتراح عظيم على بلال، ولكن لا بد له أن يجيب، لأن التي تقترحه هي وديعة في الأمة.

«لقد ترك الأذان وفاءً لنبيّه، فليؤذّن هذا اليوم وفاء لنبيّه أيضاً.

«نعم سيؤذّن بلال هذا اليوم، ولكن أذانه اليوم غير أذانه بالأمس.

«يشيع النبأ فتجتمع الأمة وتزدحم كازدحامها بالأمس، إلّا أن الفارق جليّ بين اليومين، فإن الدموع لا تشبه الدموع، والخشوع لا يماثل الخشوع.

«وبلال ينتظر الوقت وهو مطرق، لا يدري أيحسن الأذان هذا اليوم أم لا؟

«ويجيل طرفه جولة في السماء فيعرف الوقت، ثم يجهد ليؤذّن فلا يستطيع.

«وبعد برهة يرتفع صوته مزيجاً من البكاء والتكبير، وتستحيل المدينة صرخة واحدة، يشترك فيها عويل النساء وبكاء الرجال.

«ويجيء النذير إلى بلال، إن وحيدة رسول الله قد ماتت، فيقطع الأذان وينزل بين الحسرات والدموع.

«لم تمت فاطمة يومئذٍ ولكنها ذكرى عهدٍ حبيب تثير منها كامناً فتصعق، والوجد إذا تضاعف قتل»[11].

هذه هي رائعته الأدبية المشهورة، لوحة فنية تزهو بالألوان الجميلة، رسمت بريشة فنّان مبدع استمد فكرتها من التاريخ الإسلامي، وهَنْدَسَ هيكلها من موحيات موهبته الأدبية، تلك الموهبة التي تحمل زخماً عاطفياً ولائياً بتأثير ما كان يعيشه (قدّس سرّه)، من عشق إلهي أخذ عليه كلّ أطراف تفاعله مع الفكرة، فأبرزها نوراً يرسل أشعته حزمة ضوء آسر، وقوة جذب ساحر، وكل هذا جاء نتيجة الأبعاد التالية:

---

(١١) شعراء الغري، ٢٩٦/٧ - ٢٩٩.

(١) عاطفة الكاتب إن أستاذنا المقدس، الشيخ زين الدين، ممّن راضوا أنفسهم على التقوى، فسما بنفسه روحانياً حتى تعلق بالملكوت الأعلى تعلقاً إيمانياً واعياً أكسبه الولاء الخالص للّه تعالى، ولمن أمر اللّه تعالى بولائهم وهم أولياؤه المصطفون الأبرار محمد وآله (ع).

وكان من نتائج هذا الولاء ما لمسناه فيه من رقة تأخذ عليه كل أبعاد عاطفته، عندما يكون بين يدي الله تعالى، وليس أجلى مصداقاً لذلك من أن يكون عند فكرة إسلامية عبادية يكتب فيها قاصداً وجه الله تعالى والنصرة للحق.

وإنك إذ تقرأ هذه المقالة، «بلال يؤذّن»، ترى عاطفته فيها واضحة وضوحاً بيّناً، وذات مستوى واحد من أول المقالة حتى آخرها، وهذا يدلنا على أنه كتبها وهو مستحضر للغاية من كتابتها، وهي النصرة للحق والزلفى إليه تعالى.

أو قلْ تفاعل مع الفكرة وانفعل بها انفعالاً سايره في الكتابة عنها وفيها، مشبوب العاطفة حتى آخر حرف منها.

ومما أفادته التجارب في الكتابة الأدبية أن العاطفة المتفاعلة مع الفكرة تعمل وبقوة على تدفق الأسلوب على الكاتب، تدفّقاً يستطيع معه الإجادة في التعبير كما يريد، وهو ما تجلّى بوضوح في صياغة هذه المقالة من ناحية تعبيرية.

(٢) إيقاع الألفاظ إن النثر الفني لا يختلف عن الشعر الفني في ضرورة توافره على العنصر الموسيقي، أو ما يعرف بالإيقاع.

وكما أن الشعر عندما تتوهج عاطفة الشاعر أثناء نظمه يتناغم إيقاعه، ويتناسق جرسه، كذلك النثر الفني.

ولأن الشيخ زين الدين، كما أسلفت، كتب مقالته هذه وهو متوهّج العاطفة، جاء الجرس في ترابط الألفاظ كأنه إيقاع فاتن لقصيدة حب صوفية.

(٣) جمال التعبير في المفردة والجملة، ثم المقالة كاملة، وهو ما يعبَّر عنه في الدرس النقدي بالصورة أو الشكل، ويقوم عنده، استخلاصاً من المقالة بين يدينا، على العناصر التالية:

(أ) انتقاء الألفاظ الجميلة المناسبة وذات الإيقاع الفنّي المناسب.

(ب) الموازنة والمواءمة بين الألفاظ في السياق الواحد، حيث اعتمد طريقة المقاطع القصيرة المتوازنة تنغيماً، وطريقة الفواصل المقفّاة سجعاً.

(ج) توليد العبارة من الأخرى، للدلالة على معنىً واحد، أو قلْ إعطاء المعنى الواحد بأكثر من عبارة واحدة، وهو ممّا يفرضه الأسلوب الخطابي، بغية شدّ المتلقي بالفكرة شداً قوياً لتدخل أعماق قلبه فتربطه عاطفياً إليها.

(٤) خطابية الأسلوب هناك فرق جليّ بين أسلوب علمي يُصاغ بعبارة أدبية، وأسلوب أدبي يحتوي فكرة علمية، حيث لا نلمس في الأول أثراً للخطابة، بينما تبين في الثاني بوضوح.

كما أن الأول يخاطب العقل مباشرة، والثاني يخاطب القلب أو العاطفة، وعن طريقها ينفذ إلى العقل.

والأسلوب في المقالة، موضوع الدرس، من النوع الثاني، ولكل واحد من الأسلوبين مقامه المناسب له، وهو ما يسمّى في علوم البلاغة بـ«مقتضى الحال» أي ما يتطلبه الموقف.

وقد تفرّد شيخنا زين الدين بهذا الأسلوب في حينه، بينما التزم معاصروه، كأستاذنا الشيخ محمد رضا المظفر، الأسلوب الأول.

ومن هنا يأتي دور الأستاذ زين الدين في الانتقال بأسلوب المقالة وكتابتها من مدرسة *العروة الوثقى* إلى مدرسة *الرسالة* ـ كما سيأتي.

وكما مارس الشيخ زين الدين كتابة المقالة، مارس أيضاً كتابة الرسالة، وقد تمثلت نماذجها فيما تبادله من رسائل مع صديقه وزميله الشيخ سلمان الخاقاني، وما أرسله إلى أخيه أستاذنا الشيخ علي زين الدين.

وهي ـ فيما أعلم ـ لا تزال مخطوطة.

كما أنها لا تختلف في أسلوبها الأدبي عن أسلوبه في كتابة المقالة. وربما كان فيها ميل إلى أسلوب الرافعي في رسائله المنشورة بعنوان *أوراق الورد*.

■

شعره

كتب شيخنا زين الدين الشعر، ولكن على قلة، وكان يتحرج أن يُعرف به لأنه في محيط لا يستسيغ ذلك، لأنه يريد من أهل العلم التفرغ للعلم.

وكأن قولة الإمام الشافعي:

ولولا الشِّعْرُ بالعُلَماءِ يزْري   لَكُنْتُ اليومَ أشعرَ من لبيدِ

لا تزال تأخذ مفعولها في الأوساط العلمية الدينية.

فمن غلب عليه الشعر من الفقهاء عُدَّ في رأي الناس في مصافّ الشعر، ونُسيت فقاهته، وأوضح مثال لهذا الشريفُ الرضي قديماً، والسيد الحبوبي حديثاً.

ومن هنا كان الفقيه يقول الشعر، ولكنه يعمل على أن لا يغلب عليه، وهذا بيّن في أمثال الشريف المرتضى قديماً، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حديثاً، فقد غلبت فقاهتهما على شعرهما.

وللأستاذ علي الخاقاني ـ وهو ثورة على القيم الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، وهي غير قائمة على أساس متين يدعمها ـ موقف من موقف الشيخ من الشعر ذكره في كتابه *شعراء الغري* عند ترجمته له، قال:

«وقد حباه الله بمواهب عالية في الأسلوب، فهو موفّق فيه يستولي على الألباب الواسعة، ويهيمن على القلوب المتحجرة، وكتبه التي ألّفها

دلّت على خبرته وإتقانه للأسلوب الأخاذ المشفوع بالخواطر الجليلة، وكتابه **الأخلاق عند الإمام الصادق** أبرزه بين مؤلفي العصر كعَلَمٍ على خلوده.

«وبقدر ما أوتي موهبة في الأسلوب النثري، فقد حاز على مقياس كبير في الشعر، ولكنه وقد أصبح زعيماً دينياً في قريته لا يستسيغ هذا اللون، ولا يحب نسبته إليه، وقد كلمته غير مرة بأن هذا الرأي لا قيمة له، وأن ما عندك أرجو أن أقف عليه، فكان يجاملني ويعتذر بوجود أشغال له تتعلق بدروسه وتدريسه، وكنتُ قد أحببت بأن أثبت روايته التي وصف بها المسلول وشخّص هذا الداء الذي استفحل في بلادنا، غير أنه كان يواصلني بنفس العذر، ناسياً أن هذا اللون من السلوك رجعي لا قيمة له، وناسياً أن الخلود لا يصيبه من ناحية رأيه السلبي بل من الطرق الإيجابية التي تخدم المجتمع بأي أسلوب، نثراً كان أو نظماً، وبهذا السوك عرّفني أنه لا يزال في حظيرة الرجعية التي ستقضي على كثير من مواهبه وتقبرها»[١٢].

ولكل محيط اجتماعي، علمياً كان أو غير علمي، أعرافه السائدة التي وجدت بسبب عوامل فرضتها، قد تكون تلك العوامل ناهضة بالتسبيب، وقد تكون غير ناهضة.

ويرجع واقع استمراريتها وعدمه إلى أن الأعراف إذا كانت في مجتمعات سريعة التغيّر سرعان ما تتغير، وإذا كانت في مجتمعات

---

(١٠) شعراء الغري، ٢٩٥/٧ ـ ٢٩٦.

بطيئة التغير تُبطيء في تغيرها، وربما لا تتغير حتى مع وجود ما يتطلب تغيرها، ومن هذه الأعرافُ الاجتماعية في الأوساط الدينية.

والحق أنه لا بد من الجمع بين الفقه والأدب، ذلك أن الفقيه في مجال الاستنباط يتعامل مع النصوص الشرعية من القرآن الكريم والحديث الشريف، والأدب يساعد مساعدة مباشرة وفاعلة على فهم دلالات النصوص الشرعية ومؤدياتها، فالفقيه الأديب أدرى بشعاب مكة لأنه من أهلها.

ومن هنا صنّف المعاصرون الفقيه إلى:

ـ فقيه ذوقي، وهو الذي يصل إلى مؤدى النص ودلالته عن طريق ذوقه الأدبي.

ـ فقيه صناعي، وهو الذي يعتمد القواعد العلمية، بعيداً عن الأدب، في فهم النص.

يقول الشيخ عبد الحسين الحلّي، وهو من الفقهاء الأدباء:

«إن طالب العلم الأديب عارف بأخبار (أحاديث) الأئمة (ع)، إذ إن لديه ذوقاً أدبياً يميز به خبر الإمام من غيره، ويعرف بذوقه سبك العبارات وتراكيبها، فالعالم الأديب أعرف بكثير من العالم غير الأديب»[١٣].

ولكن القضية، كما يقال، أمر مرفوض إلّا أنه واقع مفروض.

ولشيخنا، (قدّس سرّه)، قصائد قليلة جداً، منها:

---

(١٣) شعراء الغري، ٥/٢٦٨.

(١) قصيدة طويلة في ذكرى مولد رسول الله (ص)، عنوانها: «شعلة من النور».

(٢) قصيدة أخرى في طفلته الأولى عنوانها «طفلتي الجميلة».

(٣) وله ديوان أسماه امالي الحياة، وهو مجموعة من الثنائيات والثلاثيات والرباعيات، أملتها عليه تجاربه في الحياة، أو تجارب أخرى تعرّفها من سواه، وهو ـ في حدود علمي ـ لمّا يطبع بعدُ، ومنه قوله:

إنما الدين وحدة لقلوب ربط الحب بعضهن لبعضِ
وإذا رثّت العقيدة يوماً قلب الجور حبّهنّ لبغضِ

وقوله:

شدَّ الزمان على يدي ليقول لي إني بقية ظاعنين ترحّلوا
حلم يمرُّ بفكرة مخمورة قد ينطوي عَجلاً وقد يتمهلّ

وقوله:

سِرْ في الظلام فقد تخامر فكرة للزيت حين يؤجّج المصباحا
والحرُّ إن ركب الصعاب لغاية في نفسه وجد الظلام صباحا

وله رواية شعرية بعنوان المسلول، ويأتي الحديث عنها وذكر نماذج مما جاء فيها.

ولنذكر هنا قصيدته في المولد النبوي الشريف، لكي نحاول التعرف على أجوائها وأبعادها، وها هي:

شعلة من النور

أرج من الزهر المندّى قد ضوّع الآفاق ندّا
وعلا على الوادي ضيا ء من قرارته تبدّى

قبسٌ من النور استطا ل فشعّ في الأجيال وقدا
من بيت هاشم والجوا هر من معادنها تبدى
حيث المفاخر ليس تُحـ ـصى والفضائل لن تُعدّا

•

ماذا بمكّة فهي تز هو منظراً وتميس قدّا
من زلزل الأصنام عن أنصابها قسراً وأردى
نبأ يجلّ مقامه عن أن يُعرّف أو يُحدّا
نبأ له قلب الجزيـ ـرة كاد أن ينقدّ قدا
يا ليلة الميلاد والمجـ ـد المؤثّل منك يبدا
يا غرّة التأريخ يشـ ـرق نورها في الكون سعدا
لك منّة لسنا نوفي حقّها شكراً وحمدا
ألبستِ هذا الكون ثو باً للمحاسن مستجدّا
وبنيت مجد العرب بعـ ـد أنِ أنطوى زمناً وأكدى

•

بطحاء مكّة فاخري شهب السما شرفاً ومجدا
بشراك يا مهد النبوة قد سعدت اليوم جدّا
وطويت عهداً للشقا فأستقبلي للسعد عهدا
وأستقبلي الآمال با سمة فقد أمّتك وفدا
عقدت على مهد الوليـ ـد رواقها (كلفاً ووجدا)
وتوسّمت في الطفل أن ستنال في مسعاه قصدا
ومحمد يستقبل الوفا د تكريماً ووعدا
بادي البشاشة قد تلفّع من جلال الله بردا

عهد النبوة

عهد النبوّة طبت عهداً لبست بك الأيام عقدا
وبنورك استهدت قلو ب في عمايتها تردّى
والدهر إن دام الفخا ر فمن علاك قد استمدّا
حيث الجزيرة والضلا ل يعمّها سهلاً ونجدا
ونواقص العادات قد ضربت على الأخلاق سدّا
والظلم عمّ فلا ترى إلّا ظلوماً مستبدّا
فاستأصلت حتّى البنيـ ـن بظلّها قتلاً ووأدا
وتفنّنت في الجهل حتّى ألّهت نسراً وودّا
سيل من الأوهام قد غمر العقول وسال مدّا

•

وإذا بأحمد يملأ الأسماع إيضاحاً ورشدا
وإذا به يتعرّض الأوهام تحليلاً ونقدا
فرد يقود إلى الكفا ح من الحفاظ المرّ جندا
متدرّعاً بالصبر درعاً مرهفاً للعزم حدّا
وأقام يهتف بالجمو ع فلا تعي للقول ردّا
عندت عن الحق الصريـ ـح وأعلنت كفراً وجحدا
وأبت لها الأهوا ء إلّا أن تضلّ الحق عمدا

•

يا منقذ الإسلام قد أوريت للإسلام زندا
جهلت قريش فما رعت لك بينها رحماً وودّا
ورمتك بالأحقاد حيـ ـث استهدفتك أذىً وطردا
فبعين ربّ البيت ما قاسيته في الله جهدا

وبعين رب البيت تنـ ـأى عن جوار البيت بُعدا
جهلت بأن البيت يثـ ـكل حين تبعد عنه صدّا
فرحلت ميمون النقيـ ـبة منجزاً لله وعدا

إلى المدينة

يا قبّة الإسلام خلداً (جدّي فإن الدهر جَدّا)
هذا محمّد يقطع ال آكام تعريساً ووخدا
وأتاك والشرف الرفيـ ـع يسير في مسراه حشدا
فأستقبليه وأرفعي بذراك للإسلام بندا
لبّيت دعوته فكنـ ـت لسيف دعوته فرندا
فتقدّمي للذبّ عن إسلامه شيباً ومُردا
ولتصرعي الأمم الرهيـ ـبة للثرى وجهاً وخدّا

•

هذي قريش أقبلت لتفلّ من علياك حدّا
فتجمّعي لتقاتلي من جهلها خصماً ألدّا
وأستنهضي للزحف غُلـ ـباً من جنود الله أُسدا
تبدو وقائدها الأميـ ـن يشدّها للحرب شدّا
يقفو بها سنن الهدى ويدلّها الرأي الأسدّا

•

وأتت قريش تملأ الـ آكام إبراقاً ورعدا
زحفت بأفئدة تكا د تفور بالأضغان حقدا
وكواذب الأحلام تأ مل أن تعيد الحرّ عبدا

فحبت لها أبطال يثـ ـرب كالهضاب الشمّ سدّا
تستهدف الألباب طعناً والطلا ضرباً وحصدا
فاسأل قريشاً ما الذي شهدت به بدراً وأُحُدا
عرفت نتيجة جهلها فتنكّدت صدراً وورِدا
مَنْ حارب الأقدار كا ن لحتفه يسعى مُجدّا

وبعد،

فإخال أن القارىء الكريم يدرك، وهو يقرأ هذه الملحمة الشعرية الجميلة، أن أستاذنا (قدّس سرّه) متأثر إلى حدّ بعيد بنثره، وبخاصة في الجوانب التالية:

- انتقاء الألفاظ.
- صفاء الديباجة.
- ترابط السياق.
- شبوب العاطفة.
- التفاعل مع الفكرة.

والقصيدة، عروضياً، من مجزوء بحر الكامل، وهو من الأوزان الراقصة التي تتناسب والمناسبة حيث السرور والحبور.

اعتمد فيها، حسبما تفرض المناسبة، طريقة السرد التاريخي، وتسلسل الحوادث منذ مولد رسول الله (ص) وما تلاه.

ويبدو أن المذكور في المصدر ليس القصيدة بكاملها.

أما روايته الشعرية، فقد كتبها وسط أجواء دخول روايات أحمد شوقي إلى النجف، أمثال: *مجنون ليلى*، *عنترة*، *مصرع كليوبترا*، *قمبيز*.

والشاعر أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م) هو رائد الرواية الشعرية في نهضتنا الأدبية الحديثة. يقول الزيات في *تاريخ الأدب العربي*[١٤]: «وأما الفن الروائي المسرحي فظل غريباً عن الأدب العربي لا يألفه ولا يعرفه حتى علمه من الأدب الغربي عن طريق المشاهدة والنقل، فهبّت طائفة من الذين درسوا الآداب الغربية أو زاروا البلاد الأجنبية، يزاولونه بالمحاكاة والاحتذاء دون أن يتجهّزوا له بجهازه ويستعينوا عليه بأدائه، فالتوى عليهم وأعضل حتى كاد يسمهم بالعجز عنه، اللهمّ إلّا ما كان من أمر شوقي، فقد حاول أن يسدّ النقص الموروث في الشعر العربي، فاستحدث الشعر التمثيلي، وخطا به في طريق الكمال خطوة موفقة بنظمه روايات: *علي بك الكبير*، و *مصرع كليوبترا*، و*مجنون ليلى*، و*قمبيز*، و*عنترة*، و*الست هدى*، ثم توفاه الله قبل أن يبلغ به الغاية».

ولأن شخينا زين الدين كان رقيق العاطفة، مرهف الشعور، عميق التفاعل مع الأفكار التي يتعامل معها، جاء شعره فيها خفيفاً في عذوبة، وأنيقاً في صفاء.

وممّا أحفظه منها قوله:

بعين الحبّ ما يلقاه هذا البدن العاني
وفي ذمّة من تهواه هذا المدمع القاني

---

(١٤) *تاريخ الأدب العربي*، ط ٢٦، ص ٤٣٤.

وقوله:

إليّ حياة النفس فالدهر ساعة — نناجي بها أحلامنا وهوانا
ونشرح أسرار الهوى بدموعنا — فدمع الهوى منّا أرقّ بيانا
خذي مهجتي واستعرضيها فإنها — بقية روح تستحيل دخانا
مناي هل الدنيا تظلّل غيرنا — وهل كنف الحبّ البريء سوانا
يقولون في الخلد النعيم وإنما — بسرّ الهوى أمست تعدّ جنانا
هو الحب أرواح تذوب وأد مع — تصوب وأكباد تفيض حنانا

وقوله:

وما قيس سوى شبح عظيم — بناه الحبّ من كلف ووجدِ
سئمنا في الغرام حديث ليلى — فصفْ للعالمين جمال دعدِ
وشبّب بالعراق وصف رباه — فقد بعد الزمان بعهد نجدِ

وممّن نظم في الشعر التمثيلي النجفي من جيله ثم من جيل تلامذته:

(١) **الشيخ سلمان الخاقاني** يقول علي الخاقاني في **شعراء الغري**[١٥]، عند ترجمته له: «والمترجَم له تذوّق الشعر التمثيلي ونظم فيه، وتأثر بالذوق الحديث الذي جاء به أحمد شوقي في رواياته، وقد عثرت له على رواية تمثيلية تاريخية، أسماها **الطاق**، ويريد به طاق كسرى، ذات أربعة مشاهد، وفي فصل واحد، وهي تاريخية، وفيها مغزىً ديني لطيف، وهو مولد الرسول الأعظم وتأثيره على إطفاء نيران فارس».

---

(١٥) **شعراء الغري**، ٤/١٧٦.

والرواية منشورة في الكتاب المذكور.

(٢) الشيخ علي الصغير له رواية بعنوان *مرغريت*، مطبوعة.

(٣) السيد مصطفى جمال الدين له رواية بعنوان *جميل بثينة* تقع في تسعمائة بيت تقريباً، ذكرها الخاقاني وهو يترجم له في كتابه *شعراء الغري*(١٦).

(٤) الشيخ محمد حيدر له رواية باسم *هيفاء*، ذكرها الخاقاني في *شعراء الغري*(١٧).

هذه إطلالة تعريفية مختصرة لشعر شيخنا العزيز، عسى أن نرى قريباً من يقوم بجمعه ودراسته أدبياً ونقدياً.

■

دوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف

أعني بالإنماء هنا توسّع الحركة عمودياً، بأن تستمر في انتقالها من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق، وتوسعها أفقياً بأن تمتدّ من بلدها الجغرافي الذي هي فيه إلى بلدان أخرى.

وذكرت في *تاريخ الحركة الأدبية في النجف الأشرف* أن من أهم عوامل نموّ المجالس الأدبية، تاريخياً وجغرافياً، أنها كانت تعقد في

---

(١٦) *شعراء الغري*، ١١/٣٤٥.

(١٧) *المصدر نفسه*، ١١/١٦٣.

الأماكن الخاصة كالمنازل والمدارس ليلتي الخميس والجمعة وليالي شهر رمضان المبارك، ويحضرها ثلة مختارة من الشبان يديرون الحوار بينهم.

وربما كان هذا تحت إشراف شيخ مربٍّ يرشد وينقد، كي يضع هذه الثلة من الشبان على الطريق السوي في بناء شخصياتهم أدبياً.

والشيخ زين الدين أستاذ موهوب، يمتلك من القدرات التربوية ما أهّله لأن يكون أستاذاً من أساتذة الأجيال في النجف أدبياً وعلمياً، وما دفعه إلى أن يقوم بما أُهّل له من أدوار تربوية في العلم والأدب.

وغرفته التي كان يسكنها في مدرسة الأخوند الوسطى، الواقعة حالياً في شارع الإمام الصادق (ع) قريباً من الحرم العلوي الشريف، كانت أحد المجالس الأدبية النجفية.

تردّد عليها وارتادها منتدىً أدبياً جَمعٌ من مريديه، في طليعتهم الشيخ سليمان الخاقاني الذي كان مؤازره في دور تربية الشبان الذين كانوا يترددون على الغرفة.

ومن هؤلاء الشبان: السيد مصطفى جمال الدين، والسيد حسين بحر العلوم، والسيد محمد بحر العلوم، والشيخ محمد رضا العامري، والشيخ صالح الظالمي، والشيخ ضياء الخاقاني.

وقد أشار إلى دوره هذا في التربية الأدبية الأستاذ عبد النبي الشريفي في كتابه ومضات الشباب.

كما أشار إليه الأستاذ علي الخاقاني في كتابه *شعراء الغري*[١٨]، عند ترجمته للسيد مصطفى جمال الدين، قال: «ولد في قرية المؤمنين عام ١٣٤٦هـ، ونشأ بها على أبيه وجده فعنيا بتربيته وحسن توجيهه، ولما أحسّا منه النبوغ المبكر والذكاء المفرط بعثا به حيث منهل الفضل والعلم، وكان ذلك عام ١٣٥٧هـ. فاتصل بالعلّامة الشيخ محمد زين الدين الذي عُرف بصدق تدريسه وقوة توجيهه، فأخذ عليه مختلف العلوم الأولية، من نحو وصرف ومنطق ومعان وبيان، واقتبس منه المعلومات الأدبية الكافية مما ولّد عنده قوة الشاعرية وفهم الأدب وحسن البيان».

والسيد جمال الدين نفسه أشار إلى هذا في مقدمة *الديوان*[١٩]، وما بعدها تحت عنوان «الشجرة التي احتضنتني برعماً»، قال:

«وصاحبنا الذي نكتب سيرته، ونحاول أن نتعرّف تجربته، واحد من هؤلاء الوافدين إلى النجف من قرى سوق الشيوخ، كان يبحث عن مدرّسٍ في النحو يأخذ عليه شرح ابن الناظم لألفية أبيه محمد بن مالك، لأن الدراسة في النجف، كما هي في أكثر مراكز الدراسة الدينية، دراسة فردية في أغلب مراحلها، والطالب فيها له حريّة اختيار مدرّسِه، وكما يكون الطالب طالباً، يكون في الوقت نفسه مُدرّساً، فهو إذْ يدرسُ *الفيةَ ابن مالك* عند زيدٍ، يدرّس عمراً *قطرَ الندى* لابن هشام، وأستاذه مثله أيضاً، حتى إذا تقدم في دروسه كان نظام

---

(١٨) *شعراء الغري*، ١١/٣٤٦.

(١٩) *الديوان*، ص ٢٨.

الحلقات في انتظاره، ثم ينتقل إلى الحلقة الكبرى، عند أحد مراجع الدين التي تسمى بـ"الخارج"، لأن الدرس فيها ليس له كتاب مقرّر، فهو خارجُ الكتبِ المقرّرة، ولكنه يمتاز بموضوعه. وموضوع الخارج إما في الفقه، أو في أصول الفقه، واستحدث أستاذنا الخوئي درساً في التفسير هو إلى الخارج أقرب منه إلى الكتاب المقرّر.

«وظلّ صاحبنا يبحث عن هذا المدرّس حتى وقع اختياره على المرحوم الشيخ علي زين الدين من البصرة، وجرّته صِلتُهُ بالشيخ علي إلى صلتِهِ بأخيه الشيخ محمد أمين زين الدين، وهو اليوم أحد مراجع الدين في النجف، حفظ الله مهجته، وجعل خير الحوزة على يديه. وكان هذا الشيخ، بالإضافة إلى علمه الجمّ، شاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أسلوب متميّز، لعله أقرب إلى أسلوب الزيّات، تدل عليه رسائله **إلى الطليعة المؤمنة** وكتابه الرائع **الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته**، ولعله أول كتاب يظهر في النجف عن الإسلام بلغةٍ مشرقة الأسلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية. كما كان فيلسوفاً أخلاقياً تشهد له **الأخلاق عند الإمام الصادق**، ورسالته **كلمة التقوى** في عشرة أجزاء أكبر دليل على فقاهته، وغير ذلك من مؤلفاته. وكان هذا الشيخ الجليل محور حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة، وأساليبهم الرائعة، منهم المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني، وهو من أقدم تلامذة السيد الخوئي المرموقين، وله ولع بالشعر، واطلاع واسع على أغلب ما يصدر في المكتبة العربية، وفي مكتبته العامرة. وبإرشاده وتوجيهه قرأنا ما جَدَّ من الكتب المصرية واللبنانية، وتابعنا مجلات

الرسالة و **الرواية** اللتين أصدرهما الزيات، و**الثقافة** التي صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر برئاسة أحمد أمين، و**الكاتب المصري** برئاسة طه حسين، و**الكتاب** التي أصدرتها دار المعارف بتحرير عادل الغضبان، وسلسلة **اقرأ** وغيرها من السلاسل والكتب والقصص التي كنا لا نهتدي إليها لولا إرشاد أبي المهدي وتهيئتها لنا، أمثال كتب طه حسين، والعقاد، وتوفيق الحكيم، والمازني، وأحمد أمين، وسلامة موسى، وعبدالله العلايلي، ونجيب محفوظ، وغيرها.

«هذان العلمان الكبيران، زين الدين والخاقاني، هما اللذان وضعاني على الطريق الذي أنا الآن في نهاياته.

«كنت أدرس على الشيخ علي زين الدين **شرح الألفية**، وقسماً من **المختصر** للتفتازاني، ودرست **حاشية ملا عبدالله** في المنطق على الشيخ محمد رضا العامري و**الشرائع** على الشيخ عبد الكريم شمس الدين، و**المعالم** و **اللمعة** على المرحوم الشيخ محمد علي الصندوق، ولكني تمحّضتُ في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين، فأخذت عنه **الكفاية** و **الرسائل** وقسماً من **المكاسب** وأكثر **شرح منظومة السبزواري** في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقلت في حياتي الدراسية على أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً، من الشيخ محمد أمين زين الدين.

«وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتد أشهراً في بعض الأحيان، يستوطن فيها قريته نهر خوز في قضاء أبي الخصيب، أو

يذهب فيها للإرشاد والتوجيه الديني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناءً كبيراً في العثور على أستاذ أنسجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين، حتى إذا أكملتُ مرحلة السطوح، كما كانت تسمى في النجف، وانتقلت إلى مرحلة الخارج في بحث سيدنا الإمام الخوئي، (قدّس سرّه)، استرحت من هذا العناء.

«أمّا حياتي الأدبية، والشعرية بوجه خاص، فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وضعا اللبنَة الأولى في أساس ظللتُ أبني عليه، بعد ذلك، حتى خُيّل إليّ أنه أعجب كثيراً من النّظارة».

■

دوره في تطوير الحركة الأدبية في النجف

أعني بالتطوير، هنا، الإضافات الأدبية الجديدة التي أضافها الشيخ، قدّس سرّه، وكانت من إبداعاته بما يعد تطويراً في عالم الحركة الأدبية النجفية.

وتتمثل تلكم الإضافات في الموضوعات التالية:

١) أسلوب المقالة الأدبية.

٢) الرواية الشعرية.

٣) الأدب الإسلامي الملتزم.

سبق أن أوضحت أن الشيخ زين الدين تأثر، إلى حدّ بعيد، بأسلوب

الأستاذ أحمد حسن الزيّات، من خلال ما كان يكتبه الزيّات افتتاحيات لأعداد مجلته الشهيرة الرسالة، ثم استقلّ، أعني أستاذنا الشيخ، بأسلوبه الخاص الذي تميز به، والذي رأينا نموذجاً منه في مقالته «بلال يؤذن».

وقد تأثر غير واحد من تلامذته وغير تلامذته فنحوا منحاه أو منحى التحديث في كتابة المقالة الأدبية.

وقد كان هذا التأثر انتقالاً ممّا أسميته مدرسة العروة الوثقى في كتابة المقالة إلى ما أسميته مدرسة الرسالة في كتابة المقالة.

أو قل، لكي يكون العنوان شاملاً: كان هذا التأثر انتقالاً من عهد النقلة في كتابة النثر الفني إلى العهد الحديث.

وتؤلف مقالات شيخنا مجموعة نثرية من روائع المجموعات الأدبية النثرية، لو قدر لها أن تُضمّ بين دفتين ثم تُطبع إحياء لذكراه وإفادة لطلاب الأدب وهُواته.

أضيف إليه أن هذه الإضافة الإبداعية الجديدة تدخل عنصراً مهماً في تاريخ الأدب النجفي، فلا بدّ لمن يريد دراسة الأدب في النجف من تناوله في بحثه أو دراسته.

أما الرواية الشعرية، فالذي يبدو لي أنه إذا لم يكن شيخنا هو الرائد الأول في كتابتها من بين من كتبوا فيها من النجفيين، فهو من الرواد الأوائل في كتابتها، قد لا يسبقه أحد في هذه الرواية سوى السيد محمد رضا شرف الدين الذي ينص الأستاذ الخاقاني، في كتابه شعراء الغري[٢٠]، أنه

---

(٢٠) شعراء الغري، ٨/٤٨٥.

نظم روايته **الحسين** (ع) عام ١٣٥٢هـ، وطبعها ببغداد في العام نفسه، قال: «نظم، في عام ١٣٥٢هـ، روايته الشهيرة **الحسين** وطبعت بنفس العام ببغداد، وهي باكورة إنتاجه الأدبي وأعقبها بنظم رواية **قيس ولبنى** وهي لم تطبع».

وبخصوص الأدب الإسلامي الملتزم فهو أول من كتب فيه، وذلك بكتابيه: **الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته**، و **الى الطليعة المؤمنة**.

كما أنه أول من عقد حلقة تدريس له، وكان ذلك في مقبرة سلامة الواقعة جوار مدرسة السيد البروجردي، قريباً من دورة الحرم الشريف.

وكنا نحضر عنده عصراً، أنا والشيخ مهدي السماوي والسيد مهدي الحكيم محمد حيدر والسيد محمد باقر الحكيم، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم في هذه العجالة.

وكان، (قدّس سرّه)، يقوم بعملين، هما:

١) يقرأ فصلاً من كتابه **الإسلام** كنص أدبي ثم يقوم بالشرح والتعليق.

٢) يُلزمنا بكتابة موضوع يختاره، وفي الغالب كان الموضوع يدور حول آية قرآنية.

وكنا نكتب ونقدم كتاباتنا إليه في الدرس القادم، وكان يأخذها معه ليعود بها في الدرس التالي، وقد أشّر على مواضع تتطلب التعليق عليها، ثم يوضح لكل طالب منّا ما ينبغي إيضاحه له من ناحية الأسلوب.

وكان هذا منه لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى أستاذنا الشيخ زين الدين نفسه، وأستاذنا السيد محمد باقر الصدر.

ويرجع هذا، في عوامله ودوافعه، إلى انتشار الأدب الاشتراكي المتلزم، وكانت تمثله بوضوح وقوة مجلة **الآداب** التي أصدرها عام ١٩٥٣م ببيروت الأستاذ سهيل إدريس، وكان يكتب فيها أقطاب الاشتراكية من الأدباء العرب، وكانت تنتشر انتشاراً واسعاً، وكانت تصل إلى النجف الأشرف، وكان لها مفعول مجلة **الرسالة** في الاستقطاب والتأثير.

وأستاذنا الشيخ زين الدين، وهو الرائد في الكتابة الإسلامية في مفاهيم الإسلام، ومن خلالها كعقيدة شاملة ونظام كامل للحياة، وهو المؤمن الغيور على دينه وأمّته، كان يرى لزاماً عليه أن يكوّن جيلاً من شبّان أهل العلم في النجف كتّاباً إسلاميين، يحملون الإسلام، ينشرونه ويدافعون عنه، ويقفون أمام الغزو الاشتراكي، فكان له ما أراد، فقد استطاع أن يكوّن من تلاميذه من قام بالمهمة وأدّى الوظيفة على خير وجه.

وبعد انقلاب ١٩٥٨ في العراق، وطغيان المد الشيوعي، ألّفت المرجعية الدينية العليا المتمثلة آنذاك بالسيد محسن الطباطبائي الحكيم، وبإسناد من بقية المراجع ما عرف بـ«جماعة العلماء»، وكانت تقوم بأكثر من نشاط من أجل صد الغزو الشيوعي، ومن ذلك أن ألفت لجنة من كلٍّ من:

١) الشيخ محمد رضا المظفّر (ت ١٣٨٤هـ).

٢) السيد موسى بحر العلوم (ت ١٣٩٧هـ).

٣) الشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي (ت ١٤١٢هـ).

٤) الشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ).

وكانت مهمّة هؤلاء هي الإشراف على مجموعة من الشبان اختارتهم جماعة العلماء لممارسة الكتابة الإسلامية، ليكونوا الأقلام التي تقف ضد الفكر الشيوعي، نقداً ورداً، وهم:

١) الشيخ مهدي السماوي (ت ١٣٨٩هـ).

٢) السيد مهدي الحكيم (ت ١٤٠٨هـ).

٣) الشيخ جعفر الصادق العاملي (ت ١٩٧٧م).

٤) السيد جعفر بحر العلوم.

٥) السيد محمد سعيد الحكيم.

٦) السيد طالب الرفاعي.

٧) الشيخ هادي القمي.

٨) السيد مير حسن أبو طبيخ.

٩) الشيخ حليم الزين.

١٠) عبد الهادي الفضلي.

وكنا نجتمع كلّ مرة في بيت واحد منّا، ويلقي أحدنا ما أعدّ من موضوع، ويناقش من قبل المشرفين والطلبة المشاركين.

فكان لشيخنا زين الدين دور آخر في الدعوة إلى تعلم الكتابة الإسلامية والتدرب عليها وممارستها.

جزى الله أستاذنا العظيم لقاء ما قام به من أعمال في خدمة المبدأ والأمة، ووفقنا للسير على هديه، إنه تعالى وليّ التوفيق وهو الغاية.

الشيخ محمد أمين زين الدين:
تجربة في الإصلاح دون حضور الذات

الفصل الثاني

كلمات في البدء

أثناء زيارتي لدمشق في صيف ١٩٩٨م تلقيت دعوتين كريمتين للمشاركة في إحياء ذكرى المرجع الديني الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين (رحمه الله)، بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته. الأولى من قبل آية الله الشيخ محمد الخاقاني، والثانية من قبل المنتدى الثقافي العراقي في لبنان.

ورأيت نفسي مندفعاً للاستجابة للدعوتين الكريمتين، لأداء بعض الحق والواجب تجاه هذه الشخصية العظيمة، ولحاجة الساحة الإسلامية إلى دراسة حياة هذا الرجل المصلح، وما تنطوي عليه من تجربة إصلاحية رائدة.

وكنت أرقب حياة الشيخ زين الدين من بُعد، عبر القراءة المتكررة لمؤلفاته وكتاباته، وعبر ما أسمعه من تلامذته والقريبين منه، ومن خلال اهتمامي وتتبعي لتطور الثقافة والحركة الإسلامية في المنطقة، حيث وجدت للشيخ فيها دوراً تأسيسياً وتجديدياً هاماً.

واختزنت في ذاكرتي صورة شفّافة مرهفة لسماحته حينما تشرفت

بلقائه في مدينة سيهات ـ القطيف، خلال إحدى زياراته لها. وكنت في الثانية عشرة من عمري، وقد بدأت ممارسة الخطابة، وأحاطني مجتمعي بتشجيع كبير، نظراً لحداثة سنّي، فدعيت للخطابة في حسينية الناصر في سيهات، وهناك فوجئت بوجود شيخ وقور يتزاحم الناس على مصافحته ولثم أنامله وتقبيل غرته الكريمة، وقيل لي إنه الشيخ محمد أمين زين الدين.

حينها لم أكن أعرف شيئاً عن سماحته، ولا أدري كيف تجرّأت على الإلقاء بحضرته، وماذا قرأت. لكنني أتذكّر أنه غمرني بالكثير الكثير من تشجيعه ولطفه، وأبدى إعجابه بجرأتي وحافظتي على صغر سنّي آنذاك، ودعا لي بالخير والمستقبل الزاهر.

هذا اللطف والاهتمام جذبني إليه، فتكرر حضوري لصلاة جمعته وجماعته فترة وجوده في سيهات، كان ذلك في سنة ١٣٨٩هـ تقريباً.

كما زرته في النجف الأشرف أثناء هجرتي للدراسة الدينية من سنة ١٣٩١هـ، وكانت أخلاقه وتواضعه وتشجيعه عنصر انشدادي إليه. ولما قرأته فيما بعد وتفاعلت مع أفكاره الرائعة وأطروحاته التجديدية، وتعرفت على شيء من مسيرة حركته وجهاده، حالت الظروف بيني وبين الالتقاء به، فكنت أعيش الأمل بتجديد العهد بلقائه بعد أن اتضحت لي معالم شخصيته الرسالية. لكن خبر وفاته المفجع بدّد ذلك الأمل وأصابني بالحسرة والألم.

وجاءت الدعوة للمشاركة في إحياء ذكراه العطرة لتشكل فرصة لاستجماع الأفكار حول شخصيته الكريمة، واستلهام الدروس والعبر من

حياته وسيرته، فكانت هذه السطور المتواضعة والتي قدمتها كبحث ألقي في الحفل التأبيني الذي أقامه المنتدى الثقافي العراقي في بيروت بتاريخ ١٢/٤/١٤١٩هـ، الموافق ٥/٨/١٩٩٨م، كما تحدثت عن أهمّ مضامينها في المحاضرة التي ألقيتها في المجلس التأبيني الذي أقامه سماحة الشيخ محمد الخاقاني في منطقة السيدة زينب بدمشق الشام، بتاريخ ١٤/٤/١٤١٩هـ، الموافق ٧/٨/١٩٩٨م.

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطّاهرين.

مدخل

كلّما اشتدّت التحدّيات الخارجية على الأمة، ازدادت ضرورة الإصلاح والتّطوير الداخلي.

ذلك لأنّ الجمود والرّكود يقعد بالأمة عن الاستجابة للتحديات التي تواجهها، وإذا كان العالَم من حول الأمة في حركة وتقدم، فإنّ تسمّر الأمة في مكانها يعني التخلّف والتراجع.

فلا بد للأمة من انبعاث متجدّد، وتطوّر دائم لتواكب مسيرة التقدّم الحضاري، ولتنفض عن نفسها غبار الزمن وتراكم النّواقص والثّغرات.

بيد أنّ عملية الإصلاح والتطوّر الداخلي أشقّ وأصعب من المواجهة المباشرة للتحديات الخارجية، لذلك اعتبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قتال الأعداء جهاداً أصغر، وجهاد الذات جهاداً أكبر، فيما يُروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية فرقة صغيرة من الجيش، فلمّا رجعوا قال:

«مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر.

«قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟

«قال: جهاد النفس»[1].

لأن المصلح ورائد التّغيير والتّطوير يواجه معركة حامية الوطيس داخل المجتمع، ولهذه المعركة بعدان:

ـ الأول تجاه الأفكار الإصلاحية التّغييرية التي يتبنّاها المصلح، حيث يتشبّث المجتمع بالأفكار التي ألفها والسّلوكيات التي اعتاد عليها. وبالتّالي فإنّه غالباً ما يُواجه أيّ فكرة جديدة تخالف الموروث، أو برنامجاً حديثاً يغاير المعتاد، بالتحفّظ والرّفض.

فيحتاج المصلح إلى الكثير من الجهد والصبر ليتمكّن من بثّ أفكاره الإصلاحية، وليقنع الناس بها، ويعالج تحفّظاتهم نحوها، ويكسر حدّة رفضهم لها.

ـ أمّا البعد الآخر والأعنف للمعركة فيدور حول ذات المصلح وشخصيته.

لأنّ الجهات النّافذة في المجتمع، والقيادات المسيطرة، ومراكز القوى المتحكّمة، يخيفها ويثير توجّسها ظهور شخصية قيادية جديدة، تسحب من تحت أرجلها البساط وتكتسح ولاء الجمهور، وتشكّل منافسة خطيرة لمواقع نفوذها.

من هنا تبدأ حالة تحسّس حادة تجاه شخص المصلح، وتُثار حوله التساؤلات والإشكالات، وعلامات الاستفهام، وتُوجّه له الاتهامات،

---

(١) الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ج١٥، ص ١٣٦، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم.

وتزرع في طريقه العقبات والعراقيل والألغام. ومن ثم يستدرج المصلح إلى معركة الدّفاع عن الذات.

وهذا هو المأزق العنيف الذي واجه ويُواجه المصلحين عبر التاريخ، فلا يتحقّق الإصلاح والتّطوير إلّا بوجود قادة وروّاد يحملون مشروعه ولواءه، لكن ذواتهم وشخصياتهم تثير تحسّس الآخرين وخوفهم على مواقعهم وزعاماتهم. فهل يمكن الفصل بين ذات المصلح ومشروعه؟

إنّ المصلح مُطالَب بالإخلاص لرسالته، وأن لا يستهدف الظُّهور وحبّ الزّعامة والرّئاسة، ولكنْ هل يتجاوز المأزق بتحقيق هذا المطلب في ذاته؟

إنّ عملية التّبشير بالإصلاح، والعمل من أجله، يستلزمان شيئاً من حضور الذّات، فالمصلح لابدّ أن يتكلم ويخطب ويكتب ويبادر ويُؤسّس ويتحرّك ويعمل، وهذه الأنشطة بدورها تفرض حضور الذّات، وكونها في موقع الظُّهور والبروز.

والزّعامات التقليدية والجهات النافذة، لحرصها على مواقعها، لا تقنعها التطمينات التي يُبدي بها المصلح زهده في ما تخاف منه عليه، بل تبقى فزعةً قلقة من حركة الإصلاح ومن ظهور المصلحين. وإذا ما قرأنا واستقرأنا تجارب المصلحين، وطريق تعاطيهم مع هذه المشكلة، ونتائج خوضهم لهذه المعركة في بعدها الشّخصي الذّاتي، فسنُواجه حالات متعدّدة ومختلفة.

فبعض المصلحين يُصاب بالانهيار، وينهزم في معركة الإصلاح والتّطوير حينما تستهدف ذاته السّهام، وتمعن في تمزيق شخصيته الرّماح.

وبعضهم يجبن في الدفاع عن ذاته، ويُبالغ في التواضع والزُّهد في التصدّي لتحمُّل المسؤولية، على حساب مصلحة الرِّسالة، ذلك لأنّ هناك خيطاً فاصلاً دقيقاً بين الزُّهد في المواقع وبين التصدّي لتحمُّل المسؤولية، وهو ما يشير إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قوله:

«أما والذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود النّاصر، وما أَخَذَ الله على العلماء ألاّ يُقارّوا على كِظَّة ظالم، ولا سَغَب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتُم دُنياكُم هذه أزهدَ عندي من عفطة عنز»[٢].

وبعضهم على العكس من ذلك تماماً، حيث يتضخّم لديه مشروع الذّات، بمبرّر الدّفاع عن النّفس، والاستجابة للتحدّي، ولحاجة الإصلاح إلى قيادة ورمز وواجهة. فيصبح برنامج الطّرح الشّخصي أوسع رقعة من طرح الأفكار، ويأخذ الدُّور المحوري في الحركة والعلاقات والتّحالفات. فالولاء لذات القائد، والتّمجيد لشخصية الرّمز هي مقياس الإخلاص وعليها تتحدّد درجة القُرب والبُعد.

وحينئذٍ قد تلتفّ حول المصلح مجاميع لا شأن لها بأهدافه وأفكاره الإصلاحية، لكنّها تزايد على الآخرين في الولاء له والتملُّق لشخصه...

وتتعدّد برامج التّكريس، وألوان الطّرح للحالة الرّمزية والشّخصية...

---

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٣.

من اختيار للألقاب، وتثبيت للعناوين والصِّفات، ومن التفنُّن في نشر الصُّور واحتلال المواقع البارزة لها، ومن اقتناص فرص الطَّرح الإعلامي، ومن استقطاب الأسماء اللامعة، ومن تجيير للمشاريع والمؤسّسات باسم القائد الرّمز... إلى ما هنالك من أساليب ووسائل تحوّل الشّخص إلى مشروع، والرّمز إلى حركة، والذّات إلى هدف، وما قد يؤدّي إليه ذلك من صنمية وتقديس مطلق يتجاوز حدود الشّرع والعقل في كثير من الحالات.

ويقدم الخلّص من المصلحين الصّالحين نموذجاً آخر في التّعامل مع هذه المعركة الشّرسة في بُعدها الشّخصي الذّاتي، والتي لابدّ لرُوّاد التّغيير والتّطوير من خوضها.

فهم لا يفرّون من الزّحف، ولا ينسحبون من المعركة، ولا يستولي عليهم الانهيار.

كما لا يقعون في فخّ تضخيم الذّات، وتورّم الحالة الرّمزية.

ولكنّهم في نفس الوقت يعرفون قيمة أنفسهم، ويُدركون قدر ذواتهم، في إطار تحمّل المسؤولية، والتصدّي للواجب الشّرعي، والوظيفة الرّسالية.

إنّهم يعتمدون منهجاً دقيقاً منذ الوهلة الأولى لتحرُّكهم الإصلاحي، وحركتهم التّغييرية، يتّسم بالحذر من الظُّهور والبُروز، والتّخفيف من حضور الذّات إلّا بمقدار الضّرورة. ومن ثمّ يوجّهون كلّ جهدهم واهتمامهم إلى ما يخدم أهدافهم المبدئية، وتطلّعاتهم السّامية.

وبذلك يقلّلون من توجيه الأنظار إلى ذواتهم فيقلّ بذلك

استهدافهم، كما يوفّرون كلّ إمكانياتهم فلا يتبدّد شيء منها في معارك شخصية وجانبية، بل هي موجّهة صوب الهدف ونحو الغاية.

وهو منهج صعب مستصعب يحتاج إلى مستوى متقدّم من الخلوص والإخلاص، وإلى إرادة قوية للتّحكم في النّفس واتخاذ الحكمة في المواقف، ويحتاج بعد ذلك كلّه إلى توفيق وتسديد إلهي حتى تكون الظُّروف والأُمور مساعدة على إنجاح هذا المنهج والبلوغ بصاحبه إلى المطلوب.

في رحاب التَّجربة

إنَّ حياة المفكر الإسلامي الكبير الفقيه المربّي المرجع الديني الشيخ محمد أمين زين الدين تعتبر تجربة رائدة رائعة في مجال العمل الإصلاحي، دون إثارات ودون الدُّخول في معارك أو صراعات شخصية وجانبية.

فهو من أوائل الفقهاء المعاصرين الذين أدركوا عُمق التحدِّيات التي تواجهها الأمة، ويظهر ذلك جلياً في كتاباته وخطاباته وسيرته.

كما أدرك أنّ هذه التّحدِّيات لا يمكن أن تُواجه إلاّ بتغيير وتطوير في ذهنية الأمة وأفكارها وسُلوكها.

وقد قرّر تحمُّل مسؤوليته الدينية والاجتماعية، وخوض هذه المعركة المقدّسة.

لكنه، وهو يعيش في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ويعرف طبيعة أوضاعها وأجوائها والمعادلات السّائدة فيها، لا بدّ له أن يحسب ألف حساب لكلّ خطوة يخطوها، وأن يتسلّح بأعلى درجة من الاحتياط في كلّ عملٍ يقدم عليه.

فأجواء النجف الأشرف كانت تسودُها حالة من التحفُّظ الشَّديد، والتحسُّس المبالغ فيه تجاه أيٍّ جديد أو تغيير أو تطوير، خوفاً على المبادئ والقِيم، والأعراف والتَّقاليد، من مؤامرات الأعداء، ودسائس الدُّخلاء، وانحرافات المغرضين، وإفساد الجهلاء.

هذا الخوف والقلق الصحيح في منطلقاته ومبرّراته، والخاطئ في أساليبه ووسائله، أصاب الحوزة العلمية بالرُّكود والجمود، وسبَّب لها التخلُّف عن مواكبة تطوّرات العصر والحياة، ودفع بها إلى حالة من الانكفاء والانطواء، بينما ساحة الأمة تعيث فيها الأفكار الوافدة والمبادئ المستوردة فساداً، تحت شعارات التقدُّم والخلاص، وعناوين التحرُّر والوحدة.

وفي النجف الأشرف يتواجد الآلاف من رجال الدين، والمئات من الفقهاء والمجتهدين، والعديد من المراجع المقلّدين، مما يعني وجود كيانات ومراكز قوى بيدها أزمّة الأمور، وتتمتّع بالسيطرة والنُّفوذ، وتحتدم بينها معارك التَّنافس والصِّراع بين الحواشي والمكاتب والأطراف والأتباع، ثمّ بين الانتماءات والتوجهات المختلفة.

ممّا جعل انطلاق مهمّة التَّطوير والإصلاح داخل الحوزة العلمية صعبة معقّدة، أوّل وأشدّ أخطارها التورُّط في صراع ونزاع داخلي مع بعض المراجع والأقطاب والحواشي والأتباع، والانزلاق إلى معادلة الاختلاف بين الانتماءات والتوجُّهات.

في هذه الأجواء والأوضاع بدأ الشيخ زين الدين مهمّته الإصلاحية وبذر بذور الصَّحوة الإسلامية في العراق والمنطقة المحيطة به.

معالم المنهج

مع خُطورة الدَّور التّأسيسي الذي قام به الشيخ محمد أمين زين الدين، في العمل الإسلامي المعاصر، ومع أهمية الجهود التي بذلها، والنّتائج التي تحقّقت على إثرها؛ إلاّ أنّك لا تكاد تجد للشيخ اسماً في خضمّ الأحداث، ولا موقعاً بارزاً في معارك الصّراع الدّاخلية والخارجية التي واكبت الصّحوة الإسلامية في المنطقة.

لقد حالف التّوفيق الشيخ زين الدين حينما اختار منهجاً عميقاً هادئاً نطلق عليه «منهج الإصلاح دون حضور الذات» فما هي معالم هذا المنهج؟ وكيف مارسه الشيخ في سيرته وحياته؟

إنّ على أبناء الصّحوة الإسلامية أن يدرُسوا حياة المؤسّسين والرّوّاد الأوائل، ليأخُذوا منها الدُّروس والعِبر، وليتلافوا الثُّغرات والنُّواقص، وليستكمِلوا البناء على أسُسه السّليمة وقواعده الصّلبة.

والشيخ زين الدين في طليعة القادة الدينيين الذين شقّوا للأمة طريق الإصلاح والتّغيير في هذا العصر، وقاموا بمهمّة التّجديد والتّطوير في الفكر والثّقافة الإسلاميّين.

وإذا كانت حياة الشيخ زين الدين تحت سلطة الحكم العراقي تمنع الباحثين الرّساليين من تسليط الأضواء على شخصيته ودوره، حرصاً على وجوده، وحفاظاً عليه من الظُّلم والعدوان، فإنّ رحيله إلى عالم الملكوت، والتحاقه بالرّفيق الأعلى، يفتح المجال واسعاً للعودة إلى تجربته التّأسيسية الرّائدة، لقراءتها وبحثها ودراستها، للإفادة منها، ولإيفاء بعض حقّه من التّقدير والتّكريم.

وفي هذا السّياق نرصد في بحثنا هذا أبرز المعالم في منهجه الإصلاحي:

١) الابتعاد عن التنافس على المواقع فمع قدراته العلمية المشهودة، وطاقاته الفكرية المتميّزة، إلاّ أنّه لم يُرشّح نفسه، ولم يقبل التّرشيح لأيّ موقعٍ بارز. وحتى التّصدّي للمرجعية والإفتاء، ومع اقتناع بعض المؤمنين في بلدان عديدة بتقليده، إلّا أنّه كان حريصاً على أن لا يحوط نفسه بمظاهر الطّرح المرجعي المألوف، فالرّسالة العملية التي تتضمّن فتاواه وآراءه الفقهية لم يخرجها للطّبع إلّا متأخراً وفي العقد الأخير من حياته، ولم تطبع في النجف الأشرف، مركز المراجع والحوزة وساحة الطّرح المرجعي، وإنما طبعت في البحرين سنة ١٤٠٩هـ، وتقع في عشرة أجزاء بعنوان **كلمة التّقوى** لسدّ حاجة عملية لدى مقلّديه هناك، وليس ضمن خطّة للتّبشير أو العمل لمرجعيته.

لكنّ تميّز هذه الرسالة العملية بالأُسلوب الرّصين، واللغة الواضحة، والطرح التّأسيسي، حيث لم تكن تعليقةً على متن سابق، ولإحاطتها واستيعابها لمختلف أبواب الفقه وتفريعات مسائله، بمنهجية متقنة، كلُّ ذلك أوجد إقبالاً عليها من قبل الفُضلاء والعُلماء ممّا دفع لإعادة طبعها في قم المقدّسة وبيعها عبر المكتبات.

وهو لم يترأس جماعة، ولم يتزعّم مؤسّسة، ولم يرض باحتياز ألقاب محدّدة، ولم تُنشَر له صور، ولم تُكتب عنه مقالات، ولم يُطرح اسمه للتّبشير بمرجعيته، كما هو متعارف في طرح المرشّحين للمرجعية، وخاصة بعد فقد أيّ مرجع من المراجع.

ونقل أحد الفُضلاء أنَّ الشيخ زين الدين دخل مرّة مسجد الطوسي في النجف الأشرف، لحضور مجلس فاتحة فهتف أحد الحاضرين بالصّلاة على محمد وآله، كما هو متعارف عند دخول أيِّ مرجع معروف، فعاتبه بعد ذلك الشيخ زين الدين ووبّخه وحذّره من أن يكرِّر ذلك معه مرّة أخرى.

«لقد انطلق في خط المرجعية، وكانت رسالته من أغنى الرسالات وأكبرها، بكل هدوء وبكل صمت، وبكل وعي وبكل تقوى، حتى كان ينكر ذاته في موقعه، وموقعه كبير كبير... كان المتواضع كأعظم ما يكون التواضع، في الوقت الذي يملك فيه الكثير مما يستعرض الناس فيه عضلاتهم، لاسيّما أنه كان مميزاً في طاقاته التي يتحرك فيها... كان بإمكانه أن يستعرض دوره، لكنه كان الإنسان الذي ينكر ذاته، ويعطي بدون حساب وبدون منّ...»[٣].

٢) تجاوز الخلافات والصراعات وجود الخلاف والاختلاف طبيعي في كل مجتمع، وخاصّة في الوسط العلمي، حيث تتعدّد المدارس، وتتباين الآراء، لكنّ التّعاطي مع هذه الحالة يختلف من شخص لآخر، فهناك من يستهويه الخلاف، ويشمّر له عن ساعديه، ويستعرض فيه عضلاته، على قاعدة: «جاء دريد شاهراً رمحه». وهناك من يقف عند حدود الدّفاع، فيستدرج إلى معارك الصّراع، حيث يأبى لنفسه أن

(٣) السيد محمد حسين فضل الله، «جولة في أزقة الذاكرة»، المرجع الإسلامي الكبير محمد امين زين الدين في ذكرى الاربعين، إعداد حميد الخاقاني، ص ١١ ـ ١٢.

يكون ضعيف الجانب مهيض الجناح، بل يعمل على أساس ﴿ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[٤].

وهناك من يسمو بنفسه على حالات الخلاف، وينفس بطاقاته وجهوده أن يتبدّد شيء منها في صراعات جانبية ثانوية، فهو لا يبدأ أحداً بخلاف، ولا يستجيب لمن أراد استدراجه. فمن قال له: إيّاك أعني... أجابه: وعنك أغضي. كما ورد ذلك عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) إن لئيماً اعتدى عليه فسبّه، فأشاح (عليه السلام) بوجهه عنه، فانتفخت أوداج اللئيم وراح يقول له: «إياك عنّي» وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أغضي»[٥].

وهذا هو منهج الشيخ محمد أمين زين الدين.

فلم يسجّل عليه الدُّخول في أيِّ خلافٍ أو صراع، ولا المشاركة في أيِّ نزاع أو سجال.

ورغم أنّه يصنَّف ضمن مدرسة المحدِّثين الأخباريين، ويُنظر إليه كمرجع وفقيه بارز لهذه المدرسة، إلاّ أنّه كان يعيش في وسط وعمق المدرسة الأُصولية النَّجفية، حيث حضر بحث الشيخ ضياء الدين العراقي (توفي ١٣٦١هـ)، في الأصولِ لمدة سبع سنوات، وكتب تقريرات درسه في دورة كاملة لعلم الأُصول. ولم يظهر منه أي اعتراضٍ أو

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٥) باقر شريف القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ج١، ص ٧٧، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

تبنٍّ لرأي مخالف، في الوسط العلمي الأُصولي الذي يحيط به، فهل هو أخباري محدّث أم فقيه أُصولي؟

إنَّ الأخباريين يعتبرونه زعيمهم، والأُصوليين يَرونه أحد أعلامهم. وحينما طبع رسالته العملية كلمة التقوى تجاوز «باب التقليد» والذي يبدأ به الفقهاء رسائلهم العملية جرياً على ما فعله السيد محمد كاظم اليزدي في العروة الوثقى، لكي يتلافى طرح المسائل المختلف عليها في هذا الباب.

كما عاصر الشيخ زين الدين الصِّراعَ المحتدم بين الخطِّ التّقليدي المحافظ في حوزة النجف والسّاحة الدّينية، وبين الخطِّ التّجديدي النّاهض، لكنّه لم يُحدِّد له موقعاً في الصِّراع ضمن أيّ من الخطّين.

ومع أنَّ رُوّاد خطِّ الإصلاح والتّغيير قد تربّوا في أكناف بُحوثه ودروسه ومجالسه، ونهلوا من أفكاره وآرائه وتوجيهاته، إلّا أنّه كان وثيق الصِّلة بكبار المراجع، يحظى بثقتهم واحترامهم، ويعتمدون رأيه في بعض شؤونهم وقضاياهم.

ومن ذلك مثلاً أن السيّد محسن الحكيم، وكان المرجع الأعلى في عصره، يُشجِّع ولده السيّد مهدي الحكيم على الاستفادة من الشيخ زين الدين وحضور دروسه(٦).

وحينما بدأت ظاهرة السُّفور في الانتشار في أوساط نساء العراق، بتشجيع التّوجهات الشّيوعية، طلب السيد الحكيم من الشيخ زين الدين مواجهة هذه الظّاهرة المخالفة للإسلام ثقافياً وفكرياً، بإعداد بحث

---

(٦) السيد عامر الحلو، احكام الدين بين السائل والمجيب، الحلقة التاسعة، ص ٢٢.

مناسب يبين فلسفة الحجاب في الإسلام ومفاسد التبرّج والسّفور، واستجابةً لهذا الطلب ألّف الشيخ زين الدين كتاب العفاف بين السّلب والإيجاب، وحينما منعت الرقابة طبع الكتاب تدخّل السيد الحكيم مباشرة بالاحتجاج على السّلطات حتى فسح طبع الكتاب(٧).

وعندما أصدر الكاتب المصري أحمد أمين كتابه المهدي والمهدوية الذي عالج فيه الفكرة بطريقة سلبية، كلّف المرجع الكبير السيد محسن الحكيم الشيخ زين العابدين للرد على أحمد أمين، لمعرفته بمقام الشيخ وجدارته وعمق فكره وغور نظره، فكان كتابه مع الدكتور احمد امين في حديث المهدي والمهدوية(٨).

والسيد الخوئي، الذي تسنّم المرجعية العُليا بعد السيد الحكيم، حينما أراد طبع كتابه البيان في تفسير القرآن كان للشيخ زين الدين دور أساس في إعادة صياغة الكتاب والارتقاء بلغته الأدبية، ليكون مناسباً لمقام السيد الخوئي ومكانته(٩).

هكذا كان الشيخ زين الدين يجمع بين دوري إعداد الجيل النّاهض والتّواصل مع القيادات المحافظة والمراجع الكبار.

٣) تربية جيل الإصلاح والتغيير هذه الأمة الكبيرة المترامية الأطراف لا يمكن لشخص واحد أن يدفعها نحو التّحرّك والنّهوض.

---

(٧) المصدر السابق، ص ٢٤.

(٨) السيد محمد حسين فضل الله، «جولة في أزقة الذاكرة»، المرجع الإسلامي الكبير محمد امين زين الدين في ذكرى الاربعين، إعداد حميد الخاقاني، ص ١١.

(٩) عامر الحلو، احكام الدين بين السائل والمجيب، ص ٢٧.

وذلك الجمود المتراكم على الأذهان والنُّفوس لا يستطيع قائد لوحده أن ينوء بأعباء نفضه وإزالته.

كما أنَّ من يُباشر القيام بهذ الدَّور يتورَّط في الجانب الذّاتي والبُعد الشَّخصي من المعركة، وهو ما كان يحرص الشيخ زين الدين على تلافيه وتجنُّبه.

فلا بدّ إذاً من إعداد وتربية جيل للقيام بهذه المهمّة العظيمة الشّاقّة.

هذا ما أدركه الشيخ زين الدين واتّجه له، فاحتضن نخبة من أبناء الحوزة العلمية، ومن أعرق بيوتاتها، ومن مناطق وبلدان مختلفة، وفتح لهم صدره وقلبه، وربّاهم على أساس التطلُّع والطُّموح، وتحمُّل المسؤولية تجاه واقع الأمة.

ومن خلال ما تحدّث به بعضُ تلامذته، ومن ملاحظة مستويات وتوجُّهات أُولئك التّلامذة الذين تربَّوا على يديه، يمكننا أن نلمح في مدرسته التربوية ما يلي:

(١) **تنمية القدرات العلمية** فعُمقه العلمي وبيانُه الواضح كانا خير دافع ومعين لتلامذته على فهم واستيعاب المناهج الدِّراسية العلمية، ومن هنا كان تلامذته من النُّخبة العلمية التي عُرفت بالعُمق والنُّضج العلمي، ومنهم أخوه الشيخ علي زين الدين، (توفي ١٤٠٦هـ)، والذي «كان من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومن أبرز من اشتُهروا بتدريس كتاب *كفاية الأصول* حيث تخرَّج به العدد الكبير من طلّاب الحوزة النجفية»[١٠].

ومنهم أيضاً الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي العالم والباحث

---

(١٠) الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، مجلة الوسم، العدد ٩ ـ ١٠، ص ١٨٤.

المعروف؛ والدكتور السيد محمد بحر العلوم؛ والسيد حسين بحر العلوم؛ والدكتور السيد مصطفى جمال الدين؛ والشيخ محمد مهدي الآصفي؛ والشيخ أحمد البهادلي؛ وأمثالهم وهي شخصيات مشهودٌ لها بالعلم والفضل.

يقول الدكتور السيد مصطفى جمال الدين: «تمحّضتُ في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين، فأخذت عنه الكفاية، والرسائل، وقسماً من المكاسب، وأكثر شرح منظومة السبزواري في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقّلت في حياتي الدّراسية على أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً من الشيخ محمد أمين زين الدين. وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتدُّ أشهراً في بعض الأحيان، يستوطن فيها قريته نهر خوز في قضاء أبي الخصيب أو يذهب فيها للإرشاد والتّوجيه الديني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناءً كبيراً على العُثور على أستاذ أنسجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين»[١١].

(٢) التّشجيع على الانفتاح الفكري والثقافي على العكس ممّا كان سائداً في أجواء الحوزة من تحذير الأساتذة لطلاّبهم من الانشغال بغير كتب الدّراسة، ومن الاقتراب من وسائل الإعلام الحديثة، كالراديو والتلفزيون والصُّحف، ومن اقتناء كتب الضّلال، وتعني عند الأغلب كلّ الإصدارات الفكرية والثّقافية الجديدة.

---

(١١) السيد مصطفى جمال الدين، الديوان، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣٠.

وبذلك ينشأ طلاب العلوم الدينية في جوٍّ منغلق، وفي حالة من العُزلة والانكفاء عن كلِّ ما يحدث في العالم من تطوّرات.

على العكس من ذلك، كان الشيخ زين الدين يُشجِّع تلامذته على الانفتاح الفكري والثّقافي والسّياسي، ليُواكبوا تطوُّر العالم والحياة؛ وما كان يخشى عليهم من ذلك الانفتاح وقد تسلَّحوا بالأصالة، وامتلكوا قُوّة الفِكر والثِّقة بالنَّفس والمبدأ.

وقد تحدّث السيد مصطفى جمال الدين عن الحلقة الأدبية التي أنشأها الشيخ زين الدين، وانضم إليها السيد مصطفى، وكانوا يُتابعون فيها «الاطّلاع على كلِّ جديد يصدر في المكتبة العربية وصحفها ومجلاتها... على أيِّ حال كنّا نمتاز عن الأجيال الأدبية التي عاصرناها في النجف، أننا كنّا كثيري القراءة والمتابعة لكلِّ ما هو جديد، فإذا كان زاد النّاشئة التي نتعايش معها دواوين السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد حيدر الحلي والشّبيبي واليعقوبي من الجديد، ودواوين المتنبي والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي من القديم، فقد أضفنا إلى ذلك كلَّ ما تيسّر لنا من دواوين الشُّعراء العرب المحدثين، بما فيها موجة الشِّعر الحديث، بل إنّ بعضنا أخذ يكتب تجاربه بطريقة التَّفعيلة التي لا يعتبرها أكثر نُقّاد النجف شعراً. وإذا كان النقد المسيطر على هذه الأجيال التي عاصرناها هو نقد الجاحظ وقدامة بن جعفر وضياء الدين بن الأثير فقد أضفنا إلى ذلك نقد أحمد الشّايب وسيد قطب ومارون عبود وميخائيل نعيمة ورئيف خوري وكثيراً من الدِّراسات الأدبية المترجمة في موسيقى الشِّعر، وأصوات اللغة، عن

الفرنسي غويار والأميركي سابير والرّوسي كوندراتوف والإنكليزي إليوت...»[١٢].

هذا المنحى في مدرسة الشيخ زين الدين هو الذي جعل تلامذته نخبة متنوّرة منفتحة، قادرة على التّعاطي مع التطوّرات العلمية والفكرية والأدبية في السّاحة.

(٣) **تفجير الكفاءات العملية** فقد كان طالب العلوم الدينية في الحوزة يتعبّأ من العلم، دون أن يتدرّب أو يتعلّم أساليب بثّ العلم ونشره، فليست هناك دروس للكتابة أو الخطابة أو الإدارة أو العمل الاجتماعي، بل كان هناك تكريس للعزوف عن هذه الأنشطة والممارسات، لأنها تشغل الطالب عن العلم، وهي أدوار لا تتناسب مع الوزن العلمي. لذلك يتحدّث السيد مهدي الحكيم عن الضّغوط التي مورست على والده لكي يمنعه من الخطابة الجماهيرية وإلقاء المحاضرات، فتلك وظيفة الملالي و«الروزخونية» والقُرّاء، ولا تتناسب مع المقام العلمي!

وحينما اهتمّ الشيخ باقر شريف القرشي ببحث حياة الأئمة والتحقيق في سيرتهم والكتابة عن تاريخهم، وأصدر كتابيه المشهورين *حياة الإمام الحسن* و *حياة الإمام الكاظم*، قرّر بعض موزّعي رواتب الطّلبة من قبل المراجع قطع راتبه ومكافأته الشّهرية، لأنه ما عاد يصدق عليه أنه طالب علم بل كاتب وقرطاسي!

---

(١٢) المصدر السابق، ص ٤٢ ـ ٤٤.

أمّا الشّعر والأدب فإنّه يزري بالعلماء، كما قال أحدهم:

ولولا الشّعر بالعلماء يزري   لكنتُ اليوم أشعر من لبيد

وقد ذكر الأستاذ علي الخاقاني في موسوعته شعراء الغري عن بعض العلماء أنّهم أتلفوا دواوين شعرهم حفاظاً على سمعتهم العلمية.

كان هذا هو الجوّ السّائد في الوسط الحوزوي، ولكن الشيخ زين الدين وهو يهيّيء طلابه وتلامذته للقيام بدورهم الرّسالي، ووظيفتهم الشّرعية في استنهاض الأمة، وتوعيتها بدينها وواقعها، ودفعها نحو بناء المستقبل الأفضل توجّه لتفجير كفاءاتهم العلمية، وتشجيعهم على الإمساك بسلاح القلم، وصقل سيف اللسان، وامتلاك لغة الأدب الحديث، كان الشيخ زين الدين يشقّ أمام تلامذته طريق الأدب المعاصر وقدّم لهم من كتاباته وشعره نموذجاً ونهجاً يقتفون فيه أثره.

يقول الأستاذ علي الخاقاني:

«ولمزيد فضله فقد أخذ عليه الفقه والأصول رعيلٌ من شبابنا المثقّف، واطمأنَّ إلى خبرته الأدبية فريق من الأدباء المعروفين من الناشئة. وقد حباه الله بمواهب عالية في الأسلوب، فهو موفّق فيه يستولي على الألباب الواسعة ويهيمن على القلوب المتحجّرة، وكُتبه التي ألّفها دلّت على خبرته وإتقانه للأُسلوب الأخّاذ المشفوع بالخواطر الجليلة... وبقدر ما أُوتي موهبة في الأُسلوب النّثري فقد حاز على مقياس كبير في الشعر»[١٣].

---

(١٣) علي الخاقاني، شعراء الغري، ج٧، ص ٢٩٥، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم ١٤٠٨هـ.

وهو صاحب أوّل مبادرة لتدريس الأدب الإسلامي في الحوزة العلمية، كما كان يُشجِّع طلابه ضمن حلقته الأدبية على التمرُّس في فنون الشِّعر والأخذ بألوان الأدب.

يقول السيد مصطفى جمال الدين: «كنت أنا واحداً ممّن انضمّ إلى حلقة الشيخ زين الدين. وكانت في أول أمرها في مدرسة الخليلي ثم انتقلت إلى مدرسة الآخوند الوسطى. وفي هذه المدرسة انضمّ إليها قطب آخر هو الشيخ سلمان الخاقاني بما له من ثقافة واسعة، واطلاع على كل جديد يصدر في المكتبة العربية وصُحفها ومجلّاتها، وكان نشاطنا الأدبي يُثيره فيها كلٌّ من الشيخ زين الدين والشيخ الخاقاني بأسئلة شعرية يطلب الإجابة عنها شعراً، أو اقتناص موضوع طريف يتسابق فيه الجميع، ثم يحكّم أحد شعراء النجف البارزين يومئذٍ كاليعقوبي أو الجعفري للحكم بأجود قصيدة لهؤلاء المتسابقين، وهكذا»(١٤).

ويقول أيضاً: «أمّا حياتي الأدبية والشِّعرية بوجه خاص فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشّيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين... وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وضعا اللبنة الأولى في أساس ظللتُ أبني عليه بعد ذلك»(١٥).

(٤) تهذيب النَّفس وصقلها بمكارم الأخلاق حيث كان خيرَ قدوة لتلامذته، وما كان بحثه عن الأخلاق عند الإمام الصّادق (ع)،

---

(١٤) السيد مصطفى جمال الدين، الديوان، ص ٤٣.

(١٥) المصدر السابق، ص ٣٠.

والذي طبع في كتاب مستقل إلّا بلورة وصياغة لبعض أحاديثه وتوجيهاته الأخلاقية لطلّابه.

كما كان يغرس في نُفوس تلامذته هُموم الأمّة، ويضعهم أمام مسؤولياتهم في التّصدّي لمهمّة الإنقاذ والتّغيير.

لذا نرى تلامذته قد أصبحوا قادة لمسيرة الإصلاح والنّهضة في مجتمعاتهم، وروّاداً بارزين في ساحة الصّحوة الإسلامية المعاصرة.

ونشير إلى بعض تلامذته كنماذج للتّدليل على هذه الحقيقة.

١) **السيد مهدي الحكيم** (استشهد سنة ١٩٨٩م)؛ كان اليد اليُمنى لوالده الإمام الحكيم ومعتمده في المهامّ السياسية بشكل خاص، حيث كان يقيم في بغداد، وكانت السّلطات الحاكمة تنظر إلى دوره الفعّال بقلق وارتياب، وتراه مصدر خطر على استبدادها وسياساتها القمعية الفاسدة... فحاكت ضدّه المؤامرات حتى اضطُرّ لمغادرة العراق، واستقرّ به الأمر لبضع سنوات في إمارة دبي، حيث نظّم شؤون المؤمنين هناك وجمع شملهم، وأشاد مؤسسة لإدارة أوقافهم، وحينما تحرّكت السّاحة الإسلامية في العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان له دور قيادي سياسي بارز، حيث انتقل إلى لندن التي أصبحت منطلقاً لنشاطه، وأسّس «رابطة أهل البيت»، واغتيل في الخرطوم من قبل المخابرات العراقية.

٢) **الدكتور السيد مصطفى جمال الدين** (توفي سنة ١٩٩٦)؛ من أبرز أُدباء العرب المعاصرين، ويحتل مكانة علمية وسياسية واجتماعية مرموقة، وكان له ثقله في ساحة العمل الوطني والإسلامي في العراق.

٣) **الشيخ مهدي السماوي** وكان العالم الدِّيني لمدينة السماوة العراقية، ومن طلائع الحركة الإسلامية في العراق، ومن العلماء الرِّساليين العاملين، وقد استشهد سنة ١٩٧٩م على يد أجهزة النظام العراقي.

٤) **الدكتور السيد محمد بحر العلوم** وهو عَلَم بارز في المجال السياسي للقضية العراقية، إضافة إلى مكانته العلمية والأدبية.

٥) **الشيخ محمد مهدي الآصفي** وهو من قادة الحركة الإسلامية في العراق، وله عطاء علمي وفكري متميّز في السّاحة الإسلامية.

٦) **الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي** وهو من أبرز علماء الأحساء المعاصرين، تميّز ببحوثه الفكرية، وتحقيقاته العلمية، وبعطائه الثّقافي الذي جعله في الطّليعة من مفكّري الصّحوة الإسلامية.

٧) **الشيخ عبد الأمير الجمري** من أفاضل علماء البحرين وخطبائها المرموقين، ومن قادة الحركة الإسلامية فيها، حيث يحظى بشعبية كبيرة ونفوذ جماهيري واسع.

٨) **الشيخ أحمد البهادلي** من أساتذة جامعة النجف الأشرف وكلية الفقه، وكان عضواً في منتدى النشر، وأبرز مؤلّفاته *محاضرات في العقيدة الإسلامية*.

هذه النّماذج المتميّزة من العلماء والمفكّرين وقادة الإصلاح والعمل الإسلامي تُدلّل على منحى مدرسته، ونوعية التّوجيه التربوي فيها.

وحقاً ما قالته «منظمة الإعلام الإسلامي» في الجمهورية الإسلامية ضمن التّقديم لكتابه *الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته*، حيث قامت

بإعادة طبعه سنة ١٩٨٥م، وأطلقت على الشيخ زين الدين لقب «أُستاذ الجيل العراقي المسلم».

وحقّاً ما قاله فيه سماحة السيد محمد حسين فضل الله:

«وقد انطلق سماحة الشيخ زين الدين في تربية مجموعة من الشباب استطاع أن يثبت فيهم روح الوعي وحركية الثقافة الأدبية في الإسلام والفكرة، فكان منهم الكتّاب والشعراء، ولذلك فقد أطلق البذرة الأولى في أرض الحوزة في النجف الأشرف في نشوء جيل مسلم منفتح على العصر بأسلوب العصر، وفي دائرة ذهنيته؛ وبهذا يعتبر سماحة الشيخ زين الدين من أوائل المجددين في هذا الاتجاه»[١٦].

٤) التجديد الفكري والثقافي كانت الأمة تعيش تناقضاً حاداً بين الفكر الديني التّقليدي في أُسلوبه وأُطروحاته، وبين الفكر المادّي الحديث بقسميه الغربي والشّرقي في شعاراته الجذّابة وأُسلوبه الرّائق.

فمع انشداد أبناء الأمة لدينهم، ورغبتهم في التمسّك بأصالتهم، لم يكن الخطاب الدّيني مشجّعاً، ولا قادراً على الاستقطاب والإقناع، فأُسلوبه قديم، وأطروحاته متخلّفة عن مواكبة قضايا الحياة، ومواضيعه لا تلامس هموم العصر. وفوق ذلك كلّه فهو قليل التوفّر والحضور في أوساط الجمهور.

أمّا الفكر المادي الوافد فقد أطلّ على نخبة الأمة وجماهيرها في لغة

---

(١٦) السيد محمد حسين فضل الله، «جولة في أزقة الذاكرة»، المرجع الإسلامي الكبير محمد امين زين الدين في ذكرى الأربعين، إعداد حميد الخاقاني، ص ٩ ـ ١٠.

عصرية شيّقة، وعبر آليات وقنوات متنوّعة، كالقصّة والرّواية والمسرح والصّحافة ووسائل الإعلام المتطوّرة.

وهو يقدّم الحلول ضمن منحاه المادي لمشاكل يعيشها الناس، ويضع المعالجات لقضايا تستقطب اهتمامهم، ويرفع شعارات الإنقاذ والخلاص.

لقد عانى جيل الأمّة المعاصر، منذ مطلع هذا القرن، استقطاباً حاداً، وتناقضاً عنيفاً بين ما يرغب فيه من أصالة دينية، والتزام مبدئي، وبين ما يحتاج إليه من حلول ومعالجات لواقعه المتأزم، ومشاكله اليومية الحياتية، ولغة عصره المعاش.

وكان الشيخ زين الدين من أوائل علماء الشيعة في العالم العربي الذين أدركوا عمق هذا التحدّي، وشخّصوا حقيقة المشكلة، واتجهوا إلى معالجتها وتلبيتها.

وكتابات الشيخ زين الدين تعتبر من الكتابات التأسيسية للتجديد في الفكر الإسلامي، ولعله أول قلم ديني لفقيه يتجاوز لغة الماضي في أُسلوبه، ويكتب بلغة الأدب المعاصر، كما هو واضح في كتابه **الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته** وكتابه **العفاف بين السّلب والإيجاب**، وكتابه **الى الطليعة المؤمنة**، وسائر كتبه.

يقول الدكتور مصطفى جمال الدين:

«وكان الشيخ زين الدين، بالإضافة إلى علمه الجمّ، شاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أُسلوب متميّز، لعلّه أقرب إلى أُسلوب الزيّات، تدلّ عليه رسائله **الى الطليعة المؤمنة** وكتابه الرائع **الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته** ولعله أول كتاب يظهر في النجف بلغة مشرقة

الأُسلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية، كما كان فيلسوفاً أخلاقياً يشهد له كتابه **الأخلاق عند الإمام الصّادق**، ورسالته **كلمة التقوى**، في عشرة أجزاء، أكبر دليل على فقاهته، وغير ذلك من مؤلّفاته، وكان هذا الشيخ الجليل محور حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة، وأساليبهم الرائعة»[١٧].

ويقول سماحة السيد حسن النوري:

«وأحسب أن قلم شيخنا الفقيد كان فريداً في حوزة النجف من حيث الجمال والشفافية، وإن كان هذا لا يعني عدم وجود أقلام أخرى تميزت بجوانب أخرى من الكمال.

«كانت الحروف والكلمات تنساب على لسانة بيسر وطلاقة، كما كانت تفعل حيث يجري قلمه. وإنه ليأخذك من غير اختيار في موضوعاته لأن المضامين رائعة والأسلوب أروع»[١٨].

٥) الانفتاح على الجمهور النّمط المعتاد في حياة الفقهاء هو العيش ضمن إطار الحوزة العلمية، والتّعاطي مع العلماء والطلاب والتلامذة فيها، دون أيّ انفتاح أو تواصل مع جماهير الأمة إلّا عبر قنوات ونوافذ محدودة قليلة.

---

(١٧) مصطفى جمال الدين، الديوان، ص ٢٩.

(١٨) السيد حسن النوري، «معالم شخصية الشيخ محمد امين زين الدين»، المرجع الإسلامي الكبير الشيخ محمد امين زين الدين في ذكرى الاربعين، إعداد حميد الخاقاني، ص ٢٠.

فالفقيه والمرجع لا يغادر الحوزة العلمية إلّا نادراً، وفي حدود الضّرورة. ولا يسافر إلى سائر المناطق والبلدان، ولا يكتب لعموم الناس، وإنما يكتب في مجالي الفقه والأصول وفي مستوى الاستدلال العلمي، ولا يخاطب الجمهور وإنما يلقي بحث الخارج للتلامذة المتخصّصين.

هذا الانقطاع من قبل المراجع والفقهاء عن ساحة جماهير الأمة، والذي تفرضه الظروف في بعض الأحيان، وتقتضيه الأعراف والتّقاليد غالباً، له آثار سلبية على الفقهاء وعلى جمهور الأمة.

فالفقيه لا يُلامس قضايا الناس، ولا يباشر التعاطي والتعامل معهم، وبالتّالي فمعرفته بهم وإدراكه لآلامهم وآمالهم محدودان ومتأثّران بالقنوات والنّوافذ الموصلة بينه وبينهم.

كما أنَّ حضور الفقيه وسط الجمهور يعطي للناس زخماً معنوياً كبيراً، ويكرّس انشدادهم وارتباطهم بالدين والقيادة الدينية.

من هذا المنطلق، كان الشيخ زين الدين حريصاً على الحضور والتواجد في ساحة الجمهور، عبر رحلاته التي كان يقوم بها سنوياً إلى البحرين والقطيف والبصرة، فيؤمّ الناس في صلاة الجماعة، ويُلقي فيهم الدُّروس والخطب، ويستقبلهم ليجيب على تساؤلاتهم، ويتحادث معهم، ويتقبّل دعواتهم، ويدخل بيوتهم ومنتدياتهم.

يقول الأستاذ سالم النويدري:

«كانت له زيارات منتظمة للبحرين في كل عام، حيث يقضي في ربوع قرية آبائه كرزكان على السّاحل الغربي للبحرين ثلاثة أشهر متّصلة، يُقيم الجمعة في جامعها المشهور الّذي تؤمُّه جماهير البحرين

المؤمنة من مختلف المدن والقرى، وكان يتنقّل في أرجاء البلاد ليتحف المؤمنين بمحاضراته القيّمة ومواعظه المؤثّرة.

«ومثل ذلك كان يفعل في القطيف، وفي مسقط رأسه بمدينة البصرة، ثمّ يعود أدراجه إلى دار هجرته في النجف الأشرف، ليرفد طلّابه الّذين ينتظرون قدومه متلهفين بفيض معارفه وزاخر علمه وناصع بيانه، ويكلأهم برعايته وحنانه الأبوي الفيّاض...

«ولئن نسيت، فلا أنسى تلك المجالس التي كانت تجمعنا بسماحته في البحرين حيث يتحلّق الشّباب المؤمن من حوله، وكلّهم آذان صاغية لذلك السّلسال العذب من الألفاظ، وهو يردّ على أسئلة الحاضرين، فيشيع في أرجاء المجلس روحانية قلّما تلحظها في مجالس أخرى.

«وكانت هيبته ووقاره لا يمنعان الشباب، ولو كانوا في سنّ الحداثة، من الارتشاف من معينه العذب، لما يلمسونه فيه من إقبال منقطع النّظير على احتضانهم والاقتراب من حياتهم، والولوج إلى أعماق مشاكلهم؛ وهذا ما لم يعهدوه حتى فيمن دونه رتبةً ومقاماً، من حملة العلم وأرباب الفضل في مجتمعهم»[١٩].

ويقول الحاج كاظم يوسف التميمي: «كانت زياراته المنتظمة للبصرة في فصل الصيف أشبه بمواسم التثقيف والتوعية، حيث تستضيفه مكاتبها الإسلامية فيسارع إليه المؤمنون، ويجتمع لديه الدعاة العاملون في سبيل الله، يستمعون إليه محاضراً في موضوع أو متحدثاً في

---

(١٩) سالم النويدري، اعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، ج ٣، ص ٣٢٦، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

مناسبة، وفي حديثه من قبسات الفكر والمعرفة وهدي القرآن وسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل البيت (عليهم السلام) وجهاد المسلمين في صدر الإسلام ما يغرس في النفوس حتمية انتصار الإسلام، ويهوّن أعباء الطريق الطويل، ويخفف عنهم ضغوط الواقع المختلفة.

«كما يتوافدون إلى بيته في نهر خوز في زيارات جماعية، فكان ديوانه المتواضع ملتقى لمريديه، وأغلبهم من الشبان المتحمسين لتلقّي أفكاره وتوجيهاته، وقد كان لي شخصياً شرف الحضور والإفادة من أفكاره السليمة وآرائه السديدة، مع بعض الأخوة البصريين ومن الشهيد الشيخ عارف البصري، وهو من مريديه والمقربين إليه، وأول من دعاني لزيارة الشيخ الفقيد وعرفني عليه. ومنهم المرحوم الشيخ سهيل نجم السعد وآخرون. كما كانت للشيخ الفقيد (رحمه الله) زيارات عمل ونشاط فكري وتربوي في البحرين والقطيف وسيهات على الساحل الشرقي للخليج، يتجول بين مدنها وقراها، وتنعقد مجالس الوعظ والإرشاد أينما حلّ، ولا يفوتني أن أذكر أنه كان يدفع المرتبات الشهرية لطلبة الحوزة العلمية في النجف، ويسهم في إعالة ما يقرب من ثلاثة آلاف عائلة في النجف والبصرة بعد فرض الحصار على الشعب العراقي»[٢٠].

وكان للشيخ زين الدين انفتاح مميّز على الطّبقة المتعلّمة والمثقّفة من الأمة، من أساتذة الجامعات وطلابها، حيث وجدوا فيه ملاذاً

---

(٢٠) كاظم يوسف التميمي، «رحلة في أروقة العلم والجهاد»، المرجع الإسلامي الكبير محمد امين زين الدين في ذكرى الاربعين، إعداد حميد الخاقاني، ص ٤٥ ـ ٤٦.

للإجابة على إشكالاتهم وتساؤلاتهم، وكان يرفدهم بالتشجيع والدّعم الروحي، ويُعطي من نفسه ووقته للإجابة على أسئلتهم تحريرياً حينما يراسلونه وبشكل مسهب مفصّل، وقد جمع بعض تلك الإجابات وطبعها في كتاب بعنوان الى الطليعة المؤمنة اشتمل على ثمانٍ وأربعين رسالة.

ويُشير في فقرة من إحدى تلك الرسائل إلى اهتمامه بمراسلة أولئك الشباب على كثرتها، وأنّه يعطيها الأولوية على سائر بحوثه وكتاباته؛ فيقول في سياق الاعتذار لأحدهم لتأخره في الإجابة على أسئلته:

«وقد وردت عليّ أمنيّتك هذه أيّها العزيز وأنا في ضائقة من الشّواغل، فماذا أعمل، وماذا أصنع؟

«فهل تعلم أنّ بين يديّ أكثر من عشرين عملاً يتطلّب الإنجاز؟

«وفي ضمن هذه الأعمال أكثر من ثلاثين سؤالاً ينتظر الجواب؟

«وأنّ بعض هذه الأسئلة يفتقر إلى أكثر من خمس صحائف في الشّرح والتّعليق؟

«هل تعلم أنّي منذ شهرين كاملين، لم أكتب جملة واحدة في الحلقة الثّانية من كتاب الإسلام؟!»[٢١].

ويقول ضمن رسالة أخرى:

«إنّني لا أتساهل ما استطعت في أمر تفرضه عليّ الدّعوة إلى اللّه والدّلالة على سبيله، وإنّ من مهمّات هذه الأمور لديّ أجوبتي على

(٢١) الشيخ محمد أمين زين الدين، الى الطليعة المؤمنة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص ٢٠٥.

مسائل الشباب الميامين الذين أعقد عليهم الأمل، وأتوسّم فيهم الخير، والّذين يجعلونني موضعاً لثقتهم فيفضون إليّ بشبهاتهم، ويبثّون إليّ شجونهم في رسائلهم.

«لا أتسامح ما استطعت وما يكون لي أن أتسامح وأنا أعلم أنّها أمانة كبيرة يحاسبني الله عليها، ويسألني عن الوفاء بها، أمّا محاسبة الضّمير ومسألته فهما دون ذلك في موازين أهل الدعوة وفي موازين أهل الدين»[٢٢].

تلك كانت بعض المعالم من منهج الإصلاح والتّطوير في حياة الشيخ محمد أمين زين الدين، والتي يتلاشى فيها حُضور الذّات إلى أقصى حدٍّ ممكن، بينما يتركّز فيها العمل من أجل الهدف المقدّس، والإخلاص للرّسالة المنقذة، والحركة والنّشاط لتطوير الأمة، فهي تمثّل تجربة رائدة في الإصلاح دون حضور الذات.

بالطّبع، فإنَّ لكل تجربة ظروفها وخصائصها، ولكلٍّ مصلح أُسلوبه وطريقته، وحينما نقرأ أيَّ تجربة فإنّها لا تُغنينا عن سائر التّجارب، ولا تلغيها ولا تخدش من قيمتها، بل تجعلنا أمام أفق جديد، وخيار آخر ودروس إضافية.

رحم الله الشيخ زين الدين، ورفع درجته ومقامه في الجنّة، ووفّق الله أبناءه وتلامذته والعاملين المخلصين من أبناء الأمة لمتابعة مسيرته وتحقيق أهدافه الإسلامية العظيمة.

---

(٢٢) المصدر السابق، ص ٥٥.

ملامح من أفكاره وآرائه

فقرات مقتبسة من بعض كتابات الشيخ زين الدين بمثابة عينات على فكره الرسالي وآرائه الإصلاحية.

تصحيح نظرة رجال الدين إلى الشباب

«والمظنّة التي يظنها فريق من أصحاب المنابر ورجال الدين ببعض الشباب فيبعدون عنهم، وينفرونهم من قُربهم، هذه المظنّة السيّئة هي مصدر البلاء الذي حاق بنا يا عزيزي والذي جنينا ثماره وحملنا آصاره.

«وما ضرّ رجل الدين أو خطيب المنبر أن يبسط خلقه وعلمه للنّاقد من الشباب أو غير الشباب، حتى يحيله مادحاً، وللجاهل حتى يصيّره عالماً، وللغاوي حتى يجعله رشيداً.

«وهذا الشاب أو الغاوي ليس بأحطّ نفساً ولا أسوأ قصداً ولا أقلّ قيمة من ذلك البدوي الغليظ الجافي الذي كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يستقبله بابتسامة العطف واللطف، ثم يفترش معه الحصى ويكبّ عليه يفحص أدواءه داءً داءً،

ويعالجها واحداً واحداً، ولا يفارقه إلا وهو أحب الناس إليه وأشدّهم انقياداً لقوله.

«إنها دروس رفيعة رفيعة يا عزيزي لو أننا اتّبعناها في مجالاتنا من الدّعوة إلى اللّه، لأفدنا منها خيراً كثيراً وكُفينا شراً كثيراً.

«ومنبر الدّعوة لم يُؤسّس حين تأسّس لتعليم العالم وإرشاد الرّشيد، ولو كانت هذه مهمته لفقد جدواه وبطلت حكمته»[٢٣].

■

التدين الانطوائي بعيد عن روح الإسلام

«أمّا الإيمان القاصر المنطوي فإنّه بعيد عن روح الإسلام الهادية المتفائلة التي تريد أن تفتح الدنيا وتنير أقطار المعمورة وتعمر آفاق الناس وقلوبهم وضمائرهم.

«أي وعينيك، إنّ هذا اللون الحائل من الإيمان أبعد الأشياء عن روح الإسلام.

«وأسميه قاصراً منطوياً لأنه قد يملأ جانباً واحداً من جوانب النفس الكثيرة ولكنه لا ينفذ إلى جوانبها الأخرى.

«فقد يتلقّى الإنسان عقيدة الإسلام بفكره المجرّد فينظر فيها نظراً ثاقباً ويؤمن بها إيماناً شديداً، ولكن النّواحي الأُخرى من نفسه، ولكن حبّه وآماله وعواطفه ومشاعره، تكون بعزلة كاملة عن ذلك، فلا تؤثّر في إيمانه شيئاً ولا تتأثر به، كأنّ الأمر لا يعنيها بشيء أبداً.

---

(٢٣) المصدر السابق، ص ٣٣.

«ومعنى ذلك أنّ هذا الإنسان آمن إيماناً جافاً صلداً ليس فيه طراوة الحب ولا نبضة العاطفة، ولا تجدّد المشاعر ولا ابتسامة الأمل. ومعنى ذلك أنه آمن إيماناً يائساً متشائماً قاسياً يظن في ما حوله الظنون وينظر إليه بريبة، يحكم بالضّلال على من خالفه لأقلّ بادرة، وييأس من صلاحهم لأدنى تهمة، وهو، من أجل هذه الأزمة التي تأخذ عليه آفاق نفسه، لا يجهد بإبلاغ دعوة ولا يأمل في إقبال فتح، ولا يرجو إشاعة صلاح أو تقويم عوج.

«إنّ هذا الإيمان المنطوي أبعد الأشياء عن روح الإسلام وعن رشد القرآن، وعن هدي الرسول، والدعاة المسلمون هم الذين يستقبلون أعداءهم الأشدّاء الألدّاء بابتسامة الحب وعطف الأُخوّة، ويتلقّونهم بسماح الإسلام وأخلاق الرسالة فيفعلون العجائب ويحقّقون المعجزات»[٢٤].

■

الإسلام يرفض التمييز بين المواطنين

«أيُّ دين هذا الذي يشعر أتباعه بالسموّ على المواطنين الآخرين في الحقوق والواجبات والحريات الفردية والجماعية التي يعترف بها الدين، وأمام محاكم العدل، وسلطان التنفيذ؟

«أيُّ دين هذا الّذي يشعر أتباعه بالسُّموّ على المواطنين الآخرين في

---

(٢٤) المصدر السابق، ص ٣٦.

شيء من ذلك؟ والدين الذي يرتكب ذلك يثبت بطلان نفسه، ويناقض العدل الذي يكدح هو وأتباعه في الدّعوة إليه.

«أمّا الإسلام على الخصوص فإنّه أعظم الأديان براءة وأشدّها نزاهة عن هذه الهنات... وتاريخه النـيّر المشرق، ومناهج تشريعه العادلة براهين صدق على هذه الدّعوى.

«والمواطنون الآخرون حين يعلمون أنّ الدين الرّسمي للدولة يصون لهم حقوقهم كاملة، ويضمن لهم حرّياتهم دون ميل ودون انحراف، لا يشعرون بغربة أو ببعد عن الفئة ذات الدين الرسمي، ويشعر الجميع بالمساواة والطمأنينة كما يدعو إليها الإسلام، ويتعاون الجميع من أجل مصلحة الدولة ومصلحة البلاد.

«إنّ الإسلام يُنمّي الكفاءات في أتباعه وفي مواطنيه على السّواء، ويمهّد للمواهب أن تظهر وأن تتفتّق، ويهيىء لها الأجواء الصّالحة، ويمدُّها بالتّربية الموجّهة، ويستثمرها جميعاً لمصلحة المجتمع ومصلحة الدولة دون ميل ولا مواربة، إلّا أن ينحرف ذو الكفاءة فيعمل طاقته في هدم الإسلام وشلٍّ حكومته والكيد للمسلمين والفتـنة لهم في دينهم، وإذا ثبت ذلك فلا جور ولا ضير في أن يؤدّب المعتدي»[٢٥].

■

لنتجاوز الحديث عن الأمراض إلى تقديم العلاج

«إنّ السبب للواقع السيىء هو الجهل، ومصدر الجهل هو تقصيرنا

(٢٥) المصدر السابق، ص ٤٣.

نحن في تقديم الغذاء النافع لأبنائنا والدواء النّاجع لأدوائهم، تقصيرنا الذي لا بدّ لنا من الاعتراف به والاستغفار منه، والعمل للتخلص من نتائجه.

«لقد عرفنا السبب وعرفنا المصدر الذي حدثت عنه جرثومة الدّاء، وقد آن لنا أن نفيد من التجربة، وأن نعمل لحسم الدّاء، واقتلاع جذوره وإبادة بذوره.

«هذه هي الثّمرة الصّحيحة المحمودة التي يجب أن نجتنيها من تشخيص الدّاء وتعداد الأخطاء.

«أمّا أن نشغل أوقاتنا وأنفسنا بتعداد الذنوب والاعتراف بالتّقصير دون عمل مجدّ، فهذا ما لا يجرّ لنا إلا خبالاً ووبالاً... لا يثمر لنا غير إضاعة الوقت وتكرار الخطيئة، وتضخّم النتائج وإرهاق النفوس بالشعور بالإثم، وإضعافها بل وإذلالها بالإيحاء إليها أنّها لا تستطيع فكاكاً ولا تملك علاجاً.

«فلنعمل إذن مجدّين، فقد مضى وقت الكسل والهزل. لنبيّن للناس ما يرشدهم ويصلحهم، ولنوضح للنّاشئة ما يصونها ويثبتها، ولنقدّم للعقول ما يغذّيها ويزكّيها. لنثبت لأبنائنا إثباتاً ليس بعده مجال للشكّ أنّ دين الله أولى بالقبول، وأنّ دعوة الله أحقّ بالاستماع، وأنّ مبدأ الله أحقّ بالاتّباع. ليعمل كلٌّ منّا في هذا السّبيل قدر طاقته ومبلغ جهده وحسب اختصاصه»[٢٦].

■

(٢٦) المصدر السابق، ص ٥٨.

متى ترتفع راية الإسلام؟

«متى ترتفع راية الإسلام؟ ومن سيرفعها وأين سترتفع؟

«ستتحقّق هذه الأُمنية بإذن اللّه يوم يجدّ العاملون من أبناء الإسلام في تطبيق مناهج دينهم وحدود كتابهم، يوم ينتشر الوعي الإسلامي الصحيح بين أبناء الأمة، وتنمو التربية الإسلامية لناشئتها، والتفهّم الكامل لأسرار الشريعة، ويخلص الجميع في حمل الدعوة إلى اللّه وتأدية الواجب في الدين.

«سترتفع راية الحق بأيدي تلك الفئة المجاهدة في سبيل اللّه، وفي تلك البلاد التي تسمو بالخضوع لحدود اللّه، ويتآزر أهلها لإعلاء كلمة اللّه.

«أمّا إذا رغبنا نحن أن نكون من تلك الفئة، وأن تكون بلادنا من تلك البلاد فإنّ علينا أن نحمل تلك الأعباء ونؤدّي ذلك الثمن»[٢٧].

■

الشّخصيّة الإسلامية

«ما هي الشّخصيّة؟

«مجموعة من السّمات والخصائص، تجتمع فتكوّن للفرد هويّة خاصّة تميّزه عن الأفراد الآخرين، وبمقتضى علوّ تلك الصّفات

(٢٧) المصدر السابق، ص ٦١.

والخصائص وهبوطها، واستقامتها وإنحرافها، يتعيّن مركز الفرد في مجتمعه، علوّاً وهبوطاً، واستقامةً وانحرافاً، وهي سرُّ نجاحه أو إخفاقه في الحياة، وهي أساس قبوله أو رفضه لدى الآخرين.

«هذه هي الشّخصية، فإذا تألف من تلك المجموعة نظام كامل مترابط سمّيت الشّخصية متكاملة.

«وتقابلها الشّخصية المنحلّة المفكّكة: التي لا يكون بين مجموعة صفاتها ترابط. وتقابلها من وجه آخر الشّخصية القلقة: التي تصطرع فيها عدّة من الصّفات المختلفة النُّزوع، المتضادّة الاتجاه.

«والشّخصية الإسلامية المتكاملة: هي التي تكون مجموعة الصّفات والخصائص فيها كلّها من صنع الإسلام ومن إشعاعه، ويكون التّرابط ما بينها على ضوء مناهجه وتربيته.

«هي التي يصوغها الإسلام وفق مناهجه، ويمدّها من قوته، ويوجّهها إلى غايته، فلا ضعف ولا قلق، ولا تفكّك ولا انحراف»[٢٨].

■

ثقافة المرأة وأدوارها الاجتماعية

«لماذا لا نفتح لفتياتنا المدارس والمعاهد والكلّيات الخاصّة بهنّ، ونهيّىء لهنّ الأستاذات القديرات ذوات الكفاءة، اللاتي يضمنّ

(٢٨) المصدر السابق، ص ٢٤٧.

لتلميذاتهنّ بلوغ الغاية في أيٍّ حقل من حقول الثقافة، وفي أي فرع من فروع العلم؟

«وحاجة بعض النِّساء إلى الخبرة والتَّجربة لا تقلُّ عن حاجة الرجال.

«ماذا تعمل التاجرة التي ورثت عن أبيها أو قريبها تجارة كبيرة متعدِّدة الجوانب، متَّسعة الأقطار، ألا تفتقر إلى تجارب وخبرة تدير بها تجارتها، وتدبّر أعمالها ومعاملها، وإن كانت من وراء حجاب؟

«والمِلّاكة التي انتقلت إليها بالوراثة الشَّرعية وفرة من الأراضي والأملاك، متباعدة الأمكنة مختلفة الإنتاج، ألا تحتاج إلى خبرة وتجارب تدبّر فلّاحيها ووكلاءها وتستثمر أراضيها، وإن كانت لا تختلط بالرجال؟

«ومملكتها الصَّغيرة: بيتها، زوجها، أطفالها، أُسرتها، ألا تفتقر في تدبيرها وحسن رعايتها إلى خبرة واسعة وتجارب مضمونة؟

«الإسلام لا ينكر قابلية المرأة، ومن أجل ذلك فرض عليها طلب العلم كما فرضه على الرجل، وفسح لها باب العمل كما فسحه للرجل، ووعدها بالدرجات الرفيعة والحياة الطيّبة إذا عملت صالحاً كما وعد الرجل، سواءً بسواء.

«والإسلام لا يعيّن للمرأة نوعاً من الثّقافة، ولا فرعاً من العلم، فلها أن تختار ما تشاء منها، وهو يحبّ لها أن تبرز وتتفوّق في النوع الذي تختاره من الثّقافة، والفرع الذي تتخصص به من العلم، مع مراعاة حدودها الشَّرعية.

«وأمّا علم الدين: علم ما يبيّن لها عقيدتها، ويصحّح لها عملها، فهو واجب عيني عليها، كما هو واجب على الرجال، والازدياد منه على هذا المقدار واجب كفائي على الجميع، وفي النساء من بلغن الدرجات العالية في هذه الحقول، وفي النساء المعاصرات من شهد كبار المجتهدين لها ببلوغ درجة الاجتهاد، وحصافة الرأي في الفقاهة»[٢٩].

■

حرية الرأي في بلاد الإسلام

«وقد كان للسُّلطة العراقية القائمة في تلك البرهة موقف من الكتاب العفاف بين السَّلب والإيجاب لا يحمده الإسلام، ولا ينساه المسلمون في النجف، واللّه وحده هو الرقيب الحسيب.

«ولقد عجبت كثيراً وعجب أصدقائي الذين قرؤوا الكتاب، وسيعجب الآخرون الذين سيقرؤونه بعد هذا، لماذا كان ذلك المنع، ولماذا كان الإصرار عليه والمبالغة فيه؟!

«تُمنع كلمة الإسلام أن يجهر بها في بلاد الإسلام، وبين أبنائه، وفي حكومة يعلن دستورها المؤقت والدائم أنّ دينها الذي لا تستبدل به ديناً سواه هو الإسلام؟!

«تُمنع كلمة الإسلام أن تُقال في هذه البلاد وتحت ظلِّ هذه الحكومة، ثم لا تُمنع كلمات وأقوال وكتب ونشرات تنابذ الإسلام، بل وتنال من قدسه؟

(٢٩) المصدر السابق، ص٢٥١ ـ ٢٥٦.

«ولست أقصد من قولي هذا أن تمنع هذه الدّعوات والادّعاءات، فإنّ الإسلام لا يخشى منها أبداً ولا يهوله أمرها، ولا يجد فيها ما يصلح أن يُعدّ منافساً، ولكنّ المقصود من ذلك القول أن يفسح المجال لكلمة الإسلام كما يفسح لغيرها سواء بسواء، فتنتشر دعوته دون تحريف، وتعلن حجّته دون منع، وتبين حكمته دون ميل، أن يصنع كذلك ليتخذ العقل الواعي سبيله في البحث الحر والموازنة الكاملة والاستنتاج الصحيح.

«أمّا أن تُخنق وتوأد هي وحدها دون ما سواها فهذا ما لم يدر في حسبان!!

«وبعد الاستنكار الشديد من الطبقات المؤمنة في النجف، وبعد الاحتجاج البالغ من المراجع العليا في الدين، عادت النسخة المخطوطة الوحيدة المصادرة من الكتاب، وعلى كل صفحة منها ختم للمنع، وتحت كل سطر منها خط أحمر، حتى تحت الآيات القرآنية التي ذكرت في طوايا الكتاب»[٣٠].

■

التمييز بين النافع والضار في الحضارة الغربية

«والتقدم والحضارة، هل معناهما التقليد البليد لعادات الغرب والاتّباع الأعمى لخطواته والرجع المردّد لنغماته، على غير تمييز بين النّافع منها والضّار، وبين المعوجّ والمستقيم؟

---

(٣٠) محمد أمين زين الدين، العفاف بين السلب والإيجاب، ص ٩ ـ ١١.

«من القبيح بالأمة أن لا تكون مستقلة بذاتها حتى في هذه البداءة، وحتى لا تفكّر إلا بعقول غيرها، ولا تشعر إلاّ بشعوره ولا تنظر في مصالحها وصوالحها إلّا بمنظاره!!

«من القبيح بالأمة أن تكون إمّعة إلى هذه الحدود! والذي لا يستطيع أن يفكر لنفسه بنفسه، ولا يستطيع أن ينتزع عوائده من صميم حياته ومن ملابسات مجتمعه، كيف يؤمل به أن يسمو إلى ذروة أو ينهض بأعباء؟!

«والتقليد معرّة كبيرة شديدة، فمعناه الصريح هو الجهل، ومردُّه الواضح هو الضعف، وفلسفته الغريبة هي الصَّغار وعدم الاستقلال، وهي في المجتمع أشدّ نكاية منها في الفرد.

«وقد لا تُلام الأمة عليه إذا كان تقليداً فيما ينفع، فإنَّ من العقل أن يفيد الإنسان من تجارب غيره، ولكنها تُمتهن وتُحتقر ويُسخَر منها ومن سلوكها إذا كان تقليداً في ما يضر، وتكون أكثر استيجاباً للمهانة والزراية والسخرية إذا كانت تعتقد مع ذلك أنَّ هذا التقليد ضروري لها ولحياتها، لأنه جهل مكرّر، وضعف متمكّن، وصغار ذاتي قاتل، وهذه هي الأدواء الأولى التي تفتك بالأمم وتقتل معنوياتها وتحكم عليها بالدمار وعلى أمجادها بالاندثار»[٣١].

■

(٣١) المصدر السابق، ص ٣٥.

الحضارة والتقدم

«الحضارة والتقدم تطور في الثّقافة، وتمكّن في العلم، وارتقاء في الصناعة، وارتفاع في الإنتاج والعمران، والحضارة والتقدم علوّ في الأخلاق واستقامة في السُّلوك، وصدق في المعاملة وقوة في الحفاظ واعتصام بالكرامة، والحضارة والتقدم التفاف من الأمة حول مبادئها القويمة واستمساك منها بدينها الحقّ وقيمها العالية، وجمعها لأسباب القوة وتوكيدها لوشائج الأُخوّة وتعزيزها لمظاهر التضامن.

«وليس من الحضارة أبداً، ولا من التقدم ولا من العلم ولا من المدنيّة، الاتضاع في الموازين والهبوط في القيم والترهُّل في السُّلوك والتملّق للشّهوة.

«ليست هذه الأشياء من الحضارة ولا من التقدم ولا من العلم ولا من المدنية في شيء أبداً، وإن اتخذت أسماءً أُخر وتحلّت بسمات أُخرى، فإنّ الواقع لا تُغيّره الأسماء ولا السّمات»[٣٢].

■

الأقلام والكتابات الطائفية

«وفريق آخر من الكُتّاب المسلمين ملكت عليهم العصبيات الطّائفية مذاهب القول، وأوصدت عليهم منافذ التّفكير، يبغون أن يعرفوا الإسلام فيصدعون شمل المسلمين ويقطعون أواصرهم

(٣٢) المصدر السابق، ص ٣٧.

ويمزّقون وحدتهم، نعم ويشكلون الإسلام غايته الأثيرة التي قاسى الرسول (صلى الله عليه وآله) لإنشائها ما قاسى، وكابد المسلمون السابقون لتوطيدها ما كابدوا، وتحمّل التّابعون في تعزيزها ما تحمّلوا!!

«مستبدّون ينظرون في الإسلام من نافذة ضيّقة، ثم يحكمون في أمره ويتحكّمون ويقولون في أهله ويتقوّلون، والله حسيبهم على ما يصنعون.

«أرأيت المسلم يكيل التُّهم لأخيه المسلم دون عدّ، ويختلق الأكاذيب عليه دون مراقبة؟!

«أرأيت المؤمن يُصوِّر قريبه المؤمن كما يُصوّر الغول، ويتحدّث عنه كما يتحدّث عن الخرافة، ويقسو عليه كما يقسو على الخصم الألدّ؟!

«ثم أتريد أن أضع بيديك ثبتاً طويلاً بأسماء هذه الكتب وبأعلام هؤلاء الكُتّاب؟

«اطمحوا بأبصاركم عالية أيها الإخوة لتروا أنّ الإسلام أرفع من هذا الحضيض الذي تتنسمون، وأرحب من هذا المضيق الذي تتوهّمون.

«الإسلام دين يعصم العقول أن تنقاد لهوى، وعقيدة ترفع النفوس أن تتّهم بسوء، ومبدأ ينقّي الأفئدة أن تنطوي على ضغينة، وشريعة تطهر الألسن أن تنطق بكذب... فهل نحن كذلك؟

«والإسلام دين تعاطف وأُخوّة، وشريعة مودّة ورحمة، ومبدأ إخلاص وولاء، أليس المؤمنون إخوة كما يعلن كتاب الإسلام في

مواضع منه، ورحماء بينهم كما يذكر في مواضع أخرى، وبعضهم أولياء بعض كما يقول في آيات غيرها، ولقد كانت هذه نعوت أسلافنا من قبل، فهل نحن كذلك؟

«لا يُلام باحث أن يستعرض المذاهب بالموازنة المنطقية، ويستوعبها بالنَّقد النَّزيه ويحكم في قواعدها البرهان الصحيح، لا يُلام باحث أن يفعل لك تثبيتاً للحُجّة واستيضاحاً للحق، وقد يكون مُثاباً عند اللّه سبحانه على فعله متى كان حسن النية فيه.

«ولكنه يكون ملوماً يوم يتحزّب ويتعصّب، ويكون مُؤاخذاً أعنف المؤاخذة وملوماً أعظم اللوم يوم يجرُّه التَّعصُّب إلى ما لا يُحمد، فلا يبصر غير مطاعن ولا يذكر إلاّ مثالب»(٣٣).

■

مقاومة الظلم والظالمين

«إنَّ الإسلام لا يرضى من المسلم أن يخضع للدَّنيّة ويستسلم للهوان، ويحتّم عليه أن يثأر لكرامته وحريته، ويحتّم عليه أن يلزم العدل في ثورته وفي استيفاء حقه، والمسلم يعلم، ما دام ملتزماً بالعدل، أنَّ اللّه ناصره من الظلم ومجيره من البغي: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّه اللّه﴾(٣٤).

«فإذا أعيا على المظلوم أن يُدرك حقّه، وإذا عزَّ عليه النَّاصر،

---

(٣٣) محمد أمين زين الدين، الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته، ص ١٩ ـ ٢٠.
(٣٤) سورة الحج، الآية ٦٠.

وصعب عليه الانتصار، فهل يباح له في شريعة الإسلام أن يتطامن للذُّل وأن يستلين مهاده؟

«إنَّ الإسلام يحرِّم عليه هذا النَّمط المرذول من الحياة، ويأبى له الإقامة عليه.

«يُحرِّم عليه أن يخلد إلى الهون، ويوجب عليه الهجرة عنه، ويأنف له من أن يفتدي قراره في مكان ما بكرامته.

«وليست كرامة الفرد في رأي الإسلام حقاً من حقوقه الخاصة ليكون مختاراً في إهدارها. إنَّ كرامة الفرد المسلم هي بذاتها كرامة الإسلام وكرامة المجتمع المسلم فليس من حقِّ الفرد ألبتَّة أن يتغاضى عنها ويتساهل فيها.

«إنَّ الإسلام يأبى الضَّيم، ويأبى لأحد من أبنائه أن يقرّ عليه أو يهادنه، أو يجد مسلماً يرزح تحت أثقاله ثم لا يخفّ إلى نصره وإلى فكِّ إساره، وهو يجنِّد لذلك ضمير المسلم وإرادته وقواه وعامَّة مشاعره، ويُوطئ له في عقيدته ويربط به أعماله، ويُؤسِّس على ذلك بناء المجتمع المسلم ويقيم عليه صلاته ويحكم وشائجه.

«وقد غنم الثَّائرون في تاريخ الإسلام، المصلحون منهم والمفسدون، هذا الإحساس القوي الملتهب في نفوس المسلمين فصرفوه لغاياتهم، ومن أجل ذلك كثر الناهضون في الإسلام وربما عديدهم ولم يعرف التاريخ لهم ضريباً في ذلك»[٣٥].

(٣٥) الشيخ محمد أمين زين الدين، الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته، ص ٧٩ ـ ٨٠.

الشيخ محمد أمين زين الدين:
سطور من تاريخه وحياته

• الشيخ محمد أمين بن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ زين الدين بن الشيخ علي بن زين الدين.

• ولد في نهر خوز من قرى البصرة في العراق سنة ١٣٣٣هـ، ١٩١٤م). بدأ دراسته الدّينية في محلّ ولادته، ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٥١هـ.

• أسرته من أهالي البحرين، وقد هاجر منها جدُّه الشيخ زين الدين إلى البصرة وأصبح من علمائها، وكذلك كان أبوه الشيخ عبد العزيز المتوفى سنة ١٣٤٧هـ من علماء البصرة.

• توفي عن عمر يناهز ٨٤ عاماً، وذلك بتاريخ ١٤١٩/٢/٢٩هـ، الموافق ١٩٩٨/٦/٢٤م، في النجف الأشرف.

من أساتذته

١) الشيخ ضياء الدين العراقي (توفي سنة١٣٦١هـ) في أُصول الفقه.

٢) الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني (توفي سنة١٣٦١هـ) في الحكمة والفقه.

٣) السيد حسين البادكوبي (توفي سنة ١٣٥٨هـ) في الحكمة.

٤) السيد أبو الحسن الأصفهاني (توفي سنة ١٣٦٥هـ) في الفقه.

٥) الشيخ محمد طاهر الخاقاني (توفي سنة ١٤٠٥هـ) في الأصول.

٦) السيد محسن الحكيم (توفي سنة ١٣٩٠هـ) في الفقه.

من تلامذته

١) الدكتور السيد مصطفى جمال الدين درس عنده **الكفاية** و **الرسائل** وقسماً من **المكاسب** وشرح منظومة السبزواري في الفلسفة.

٢) الشيخ علي زين الدين، أخو المترجم، توفي سنة ١٤٠٦هـ.

٣) الشيخ أحمد البهادلي.

٤) السيد حسين بحر العلوم، درس عنده الجزء الثاني من **كفاية الأصول** و **شرح التجريد** في الكلام للعلامة الحلي.

٥) السيد إبراهيم الزنجاني، درس عنده **المكاسب**.

٦) الشيخ مهدي السماوي (استشهد سنة ١٩٧٩م).

٧) الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي.

٨) الشيخ عبد الهادي الربيعي البحراني.

٩) الشيخ محمد حسين الخزاعي.

١٠) الشيخ محمد رضا العامري.

١١) الشيخ صالح الشيخ مهدي الظالمي من أساتذة كلية الفقه في النجف الأشرف.

١٢) الدكتور السيد محمد بحر العلوم.

١٣) السيد مهدي السيد محسن الحكيم، (استشهد سنة ١٩٨٩م)، درس عنده الأدب الإسلامي.

١٤) الشيخ عبد الأمير منصور الجمري (من أبرز العلماء في البحرين).

١٥) الشيخ ضياء الدين زين الدين (ابن المترجم).

١٦) السيد رؤوف جمال الدين، درس عنده العلوم اللغوية والأدبية.

١٧) الشيخ إبراهيم المبارك البحراني، درس عنده معالم الأصول.

١٨) الشيخ محمد مهدي الآصفي، حضر دروسه في الأخلاق.

١٩) الشيخ محمد حسين حرز الدين.

مؤلفاته

١) الأخلاق عند الإمام الصّادق (ع)، مطبوع.

٢) الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته، مطبوع.

٣) الى الطَّليعة المؤمنة، مطبوع.

٤) رسالات السّماء، مطبوع.

٥) العفاف بين السّلب والإيجاب، مطبوع.

٦) مع الدكتور احمد امين في حديث المهدي والمهدويّة، مطبوع.

٧) من اشعة القرآن، مطبوع.

٨) من أماني الحياة، ديوان شعر مخطوط.

٩) كلمة التّقوى (عشرة أجزاء)، مطبوع.

١٠) المسائل المستحدثة، مطبوع.

١١) تعليقة على العروة الوثقى، للسيد الطباطبائي اليزدي، مطبوع.

١٢) تقريرات، بحث أستاذه الشيخ ضياء الدين العراقي في الأصول، دورة كاملة، مخطوط.

مصادر ترجمته

١) أحكام الدين بين السّائل والمجيب، السيد عامر الحلو، (الحلقة التاسعة)، منشورات مركز أهل البيت الثّقافي الإسلامي، فيينا، النمسا، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢) نقباء البشر في أعلام القرن الرّابع عشر، الشيخ آغا بزرك الطهراني، ج ١.

٣) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، الشيخ محمد هادي الأميني، ج ٢.

٤) شعراء الغري، على الخاقاني، ج ٧.

٥) أعلام الثّقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً، سالم النّويدري، ج ٣، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٦) الدّيوان، الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ١٩٩٥م)، دار المؤرخ العربي، بيروت.

٧) المرجع الاسلامي الكبير الشيخ محمد أمين زين الدين في ذكرى الاربعين، إعداد حميد الخاقاني.

مصادر البحث

١) القرآن الكريم.

٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة، ج ١٥، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم.

٣) الموسوي، الشريف محمد الرضي، نهج البلاغة.

٤) زين الدين، محمد أمين، كلمة التقوى.

٥) الحلو، عامر، احكام الدين بين السائل والمجيب، (الحلقة التاسعة).

٦) الفضلي، عبد الهادي «ذكرى الشيخ ميرزا محسن الفضلي» مجلة الموسم، (العددان التاسع والعاشر) المجلد الثالث، (١٩٩١م).

٧) جمال الدين، مصطفى، الديوان، دار المؤرخ العربي بيروت ١٩٩٥م.

٨) زين الدين، محمد أمين، الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران.

٩) زين الدين، محمد أمين، الى الطليعة المؤمنة، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

١٠) زين الدين، محمد أمين، الصفات بين السّلب والإيجاب، مؤسسة النعمان بيروت، ١٩٩٢م.

١١) الخاقاني، حميد (إعداد)، المرجع الإسلامي الكبير الشيخ محمد امين زين الدين في ذكرى الاربعين.

١٢) القريشي، باقر شريف، حياة الإمام زين العابدين، دارة الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٣) الخاقاني، علي، شعراء الغري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ١٤٠٨هـ.

١٤) النويدري، سالم، اعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

إن جيلاً من المفكرين والمصلحين الناشطين في ميدان الفكر والعمل الإسلاميين لا يني يرى في الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣ ـ ١٤١٩ هـ) ملهماً له ومربياً وأستاذاً.

ولعلّ ما يُبديه له هذا الجيلُ من العرفان، ومن التقدير لمكانته العلميّة، يكشف عن عمق التأثير النوعي الذي تركه الشيخ زين الدين من خلال تجربة إصلاحية مميزة، هادئة، ونموذجية لا حضور للذات فيها.

بعض العرفان للشيخ محمد أمين زين الدين هو ما يحاول أن يقدمه هذا الكتاب المتواضع الذي يشترك في توقيعه اثنان من علماء المملكة العربية السعودية، معروفان في العالم العربي والإسلامي بعطاءاتهما الفكرية والثقافية، الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، والأستاذ الشيخ حسن الصفّار.